المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن والثلاثين

١ مارس (اذار) سنة ١٩١١ — الموافق ٣٠ صفر سنة ١٣٢٩

السر فرنسيس غلتن

لما رأينا السر فرنسيس غلتن آخر مرة في هذا القطر منذ بضع سنوات كان قد تاهز الثمانين لكنهُ كان لا يزال كهلاً في بشاشة وجهه وطلاقة لسانه واستطاعته على تحمُّل مشاق الاسفار واكبًا الجمال في البراري والقفار . لكن العمر محدود والاجسام لا بدَّ من ان يسري اليها الفساد

كل ابن انثى وان طالت سلامتهُ يومًا على آلة حدباء محمولُ

فجاءهُ القدر المحتوم لسبع عشرة خلون من يناير وهو في الخامسة والثمانين من عمره . اعتراهُ شيء من الضعف في شهر اغسطس الماضي لكن بقي مالكاً عقلهُ ونشاطهُ وظلَّ يكاتب اصدقاءهُ الى قبل وفاتهِ بعشرة ايام وكان يحب الاقامة في العراء فاصابهُ زكام ثم التهاب في الشعب قضى عليهِ

كانت ولادتهُ في ١٦ فبراير سنة ١٨٢٢ وابوهُ صرَّاف كبير وامهُ ابنة ابراسموس دارون جدتشارلس دارون الطبيعي المشهور . درس الطب جريًا على رغبة والديهِ وساح في الشرق وعمرهُ ١٨ سنة فزار الاستانة واثينا ثم عاد الى المدرسة ونال الدبلوما سنة ١٨٤٣ ولكنهُ لم يُعنَ بممارسة الطب بل كان ميَّالاً الى السياحة والضرب في الآفاق فجاب قياني السودان سنة ١٨٤٥ و ١٨٤٦ . وعاد الى الاسفار سنة ١٨٥٠ فساح في وما رالنهر وما اليها من جنوب افريقية والَّف في ذلك كتابًا وصف فيهِ اسفارهُ وطبعهُ سنة ١٨٥٣ فكان لهُ وقع عظيم فقلدتهُ الجمعيَّة الجغرافية لندن . وسَّمها الذهبي وانتخبتهُ عضواً في مجلس ادارتها ولم يكتفِ بذلك بل نشر كتابًا آخر سنة ١٨٥٥ بانيًا اياهُ على هذه الرحلة سماهُ علم السياحة او الوسائل

التي يحتاج اليها السائح في البلاد القاحلة فراج كثيراً وتكرَّر طبعهُ مراراً. ورافق السر جورج اري الفلكي الى اسبانيا سنة ١٨٦٠ لرصد كسوف الشمس وألَّف في ذلك كتاباً سماهُ الرحلات وقت الفُرَص. وشرع حينئذٍ يهتم برصد الاحداث الجوية واشار بعمل خرائط توسم فيها احوال الجو وحركات الرياح في بلاد واسعة فيُرَى فيها سير الالواء بنظرة واحدة بدلاً من الجداول. وهي الخرائط الجوية التي ترى الآن في كثير من الجرائد الاوربية والتي تنشر منها مصلحة المساحة المصرية نشرات اسبوعية. فكان لاشارته وقع حسن عند المشتغلين بعلم الارصاد الجوية فجروا عليها. وتوسع في هذا الموضوع حتى صار علم الارصاد الجوية من انفع العلوم للملاحة اي سلك الابحر وجُعل رئيساً للمجلس الذي يدير الارصاد الجوية ببلاد الانكليز فوسَّع نطاق عملهِ جدًّا وجعلهُ المرجع الاول الذي يُرجع اليهِ في ارصاد الجو

لكن اذا ذكر اسم غلتن لم يسبق الذهن الى ابحاثهِ الميتيورولوجية على عظم فائدتها بل بابحاثهِ في الوراثة واصلاح النسل فقد نشر كتابهُ في وراثة القوى العقلية الفائقة واقام الادلَّة فيهِ على كون النبوغ وراثيًّا. ثم نشر كتاباً سنة ١٨٧٤ موضوعهُ رجال العلم من الانكليز وجعلهُ تاريخاً طبيعياً لمئة وثمانين رجلاً من الرجال الذين اشتهروا بالعلم لانهُ استقصى فيهِ تاريخ اسلافهم وذكر كل ما يتعلَّق بصحتهم وقامتهم وذاكرتهم وحجم رؤوسهم وما اشبه فاثبت ما ذهب اليهِ من حيث الوراثة. ثم نشر كتاباً ثالثاً في هذا الموضوع سنة ١٨٨٣ بحث فيهِ عن قوى العلماء العقلية وما اثَّرتهُ الوراثة فيها وما يجب عملهُ لتقوية العقول ومنع ما يضعفها لكي تساعد الطبيعة على بقاء الاصلح من نوع الانسان ولا تترك الامر للصدف

والظاهر ان ما امتاز بهِ من القوى العقلية والجسدية الفائقة دعاهُ الى البحث في هذا الموضوع لاسيما وفي عروقهِ من دم آل غلتن وآل دارون وآل باركلي وهم مشهورون بقواهم الجسدية والعقلية

وطُلب منهُ سنة ١٩٠١ ان يخطب الخطبة التي تخطب تذكاراً لمكسلي فجعل موضوعها اصلاح نسل الانسان وقد نشرنا خلاصتها حينئذٍ في جزء دسمبر سنة ١٩٠١ بعد ان قدمنا لها مقدمة وجيزة فاعدنا نشرها الآن مع مقدمتها لكي يطلع عليها من لم يطلع عليها قبلاً قلنا

لو كان موضوع هذه المقالة اصلاح نسل الحيوان كالخيل والغنم والبقر لاهتمَّ اهل الزراعة بها وقرأوها بالامعان الذي تستحقهُ. ولكن اصلاح نسل الانسان وعليهِ يتوقف ارتقاء الامم وتفوُّقها على غيرها يراهُ جمهور كبير من القراء امراً ادقَّ لا يجوز البحث فيهِ ولا تحمُّل الكتابة عنهُ. ولو زار الارض احد سكان الكواكب واخبرهُ ان علماء الارض يهتمون باصلاح نسل

الغنم والبقر ولا يهتمون باصلاح نسل البشر لظنك تمزح او تهذي ولكن هذا هو الواقع ولولا الميل الفطري الى الارتقاء والحث الديني على العفة لكان نوع الانسان احط من انواع كثيرة من الحيوان

وللاوربيين ولاسيما الانكليز منهم اسلوب حسن جداً لتخليد ذكر العلماء ونشر الحقائق العلمية بين العامة منهم وهو جمع مال يعطى ريعه لمن يُنتدب لخطبة علمية يتلوها تذكاراً للعالم الذي يراد تخليد ذكره . ومن هذه الخطب الخطبة التي تتلى على ذكر الاستاذ هكسلي وقد دُعي للاولى منها الاستاذ لوكر الالماني ونشرناها في حينها ودعي للثانية الدكتور فرنسيس غلتن العالم الانكليزي صاحب الابحاث المستفيضة في الوراثة وآثارالافاضل فخطب في التاسع والعشرين من الشهر الماضي (اكتوبر) خطبة موضوعها امكان اصلاح نسل الانسان في الاحوال الحاضرة . ويستفاد مما قاله في هذا الصدد ان اخلاق الناس تختلف كثيراً ولكنها تجري في قوتها وضعفها وشيوعها وانحصارها على قانون حسابي يسمّى قانون التغلّب ومفاد هذا القانون انهُ اذا اتصف مئة نفس بخلق من الاخلاق فيكون هذا الخلق على متوسطهم في خمسين منهم والخمسون الباقون نصفهم فوق هذا المتوسط ونصفهم تحتهُ واذا قسم الخمسة والعشرون الذين فوق المتوسط الى ثلاث طبقات كان ١٦ منهم في الطبقة التي تلي الوسط و٧ في الطبقة التي فوقها و ٢ في الطبقة العليا وكذا الخمسة والعشرون الذين تحت الوسط يكون ١٦ منهم في الطبقة التي تليهِ و ٧ في الطبقة التي تحتها و ٢ في الطبقة السفلى . فالنوابغ في كل خلق من الاخلاق لا يزيدون على اثنين في المئة والمنحطون الى الدرك الاسفل فيهِ لا يزيدون على اثنين في المئة ايضاً واكثر الناس من المتوسطين في ذلك الخلق

واذا توسعنا في الاحصاء ونظرنا في عشرة آلاف نفس لا في مئة فقط رأينا خمسة آلاف منهم في الطبقة الوسطى و ٢٥٠٠ في الطبقات التي فوقها و ٢٥٠٠ في الطبقات التي تحتها . ومن اهل الطبقات التي فوق الوسط ١٦١٣ في الطبقة التي تلي الوسط و٦٧٢ في الطبقة التي فوقها و ١٨٠ في التي فوق هذه و ٣٥ في الطبقة العليا . وكذلك يكون الامر في الطبقات السفلى اي يكون ١٦١٣ في الطبقة التي تلي الوسط و٦٧٢ في التي تحتها و ١٨٠ في التي تحت هذه و ٣٥ في الطبقة السفلى . فالنوابغ في كل امر من الامور يبلغون نحو ٣ في الالف والمنحطون فيهِ انحطاطاً تاماً يبلغون ايضاً نحو ثلاثة في الالف وبقية الناس بين بين واكثرهم في الطبقة الوسطى

هذا يكون حال الناس اذا تُركوا يتوالدون من غير اعتناء خاص باصلاح نسلهم اي من

غير ان يُغرى المرتقون منهم بالزواج وإخلاف النسل ويُعتنى باولادهم اعتناء خاصاً لحفظ صحتهم وتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم ومن غير ان يمنع المخطون عن الزواج لكي يقل عددهم ويتقرض نسلهم رويداً رويداً. واما اذا بُذلت العناية في ما تقدم من اغراء المرتقين بالزواج ومنع المخطين عنهُ فلا بد من ان تتغير النسبة المذكورة آنفاً ويكثر عدد اهل المناقب ويقل عدد اهل المعايب

واذا قدّر ثمن الاولاد بما تستفيدهُ منهم بلادهم وامتهم كما يقدَّر ثمن نتاج الخيل بما يستفيدهُ منها اصحابها وساوى طفل الابوين اللذين من الطبقة الدنيا عشرة دنانير فطفل الابوين اللذين من الطبقة العليا يساوي الف دينار او عشرة آلاف دينار كما يباع مهر المجين بخمسة دنانير ومهر الاصيل بخمسة آلاف

وهذا الحكم لا يقتصر على الرجال بل يتناول النساء ايضاً. فاذا قُصر الانتقاء على الرجال وعلى الطبقة العليا منهم وابيح لهم التزوج بمن يشاؤون من بنات الطبقة العليا وغيرها من الطبقات التي تحتها من غير انتقاء وسمنا مئة من نسلهم الى ثماني طبقات وجدنا في الطبقة العليا منها نحو ٤ انفس وفي الطبقة الثانية التي تحتها نحو ١٠ وفي الثالثة نحو ٢١ وفي الرابعة نحو ٢٧ وفي الخامسة نحو ٢٣ وفي السادسة نحو ١٠ وفي السابعة نحو ٣ وفي الثامنة نحو ١. واما اذا تناول الانتقاء الرجال والنساء ايضاً فتزوّج رجال الطبقة العليا بنساء الطبقة العليا فقط جاء اولادهم من الطبقات الخمس الاولى فقط لا من التي دونها اي ان الاخلاق الموروثة في الوالدين تفعل بالنسل ولكنها لا تعيدهُ الى الطبقات الدنيا فيكون في الطبقة العليا نحو ١٨ نفساً وفي الثانية ٢٩ وفي الثالثة ٢٩ ايضاً وفي الرابعة ١٥ وفي الخامسة ٩ انفس ولا يكون احد من اولادهم في الطبقة السادسة والسابعة والثامنة

فاذا ثبت ذلك وامتنع الذين من الطبقات الدنيا عن التزوّج وإخلاف النسل زاد عدد الذين من الطبقات العليا رويداً رويداً وارتفت بهم الامم ونجت من متاعب كثيرة اذ يقلّ فيها الاشرار والبهّال ويكثر الفضلاء والمجتهدون

الا ان المنع ليس مما يسهل امرهُ فلم يشر به الخطيب بل اشار بترغيب الفضلاء والفاضلات في الزواج واخلاف النسل وذلك بان يتنبه رؤساء المدارس للنابغين من طلبة العلم وطالباته الذين يمتازون على غيرهم بالقوى العقلية والادبية والهمّة والنشاط ويبحثوا عن اصلهم وفصلهم وما في اسلافهم من الادواء والامراض وكثرة الولد او قلته حتى اذا رأوهم من اصح الناس بنية واجودهم صحّة واذكاهم عقلاً واكرمهم اخلاقاً اعطوهم شهادات قاطعة بذلك

فيكون لهم الامتياز على غيرهم في الزواج

وما يرى في الاحداث من الاخلاق قد لا يتوفر فيهم بتقدمهم في السن وقد تظهر فيهم اخلاق فاضلة متى اكتهلوا لا تكون فيهم في حداثتهم . ولم يبحث احدٌ حتى الآن عن نسبة الاحداث الى الكهول من حيث نمو الاخلاق ليعلم كم عدد الذين تستمرّ اخلاقهم الفاضلة على النمو وكم عدد الذين تزيد فيهم هذه الاخلاق او تنقص ولكن مهما يكن من ذلك فلاشبهة في ان ترغيب خيرة الناس في الزواج واخلاف النسل يفضي الى اصلاح الامة بتكثير الاخيار فيها كما ان منع الاشرار والكسالى عن التزوج يفضي الى اصلاحها بتقليل الاشرار والبطّال

ومن الوسائل التي أشار بها الخطيب لترغيب الاخيار في الزواج اعطاء الاموال صداقاً لاهل الفاقة منهم واسكانهم في بيوت جامعة شروط الصحة واكرام الذين لايحتاجون الى المال منهم بالرتب ونحوها مما تظهر به البلاد اكرامها لابنائها وبث التعاليم الدينية في نفوسهم لكي تزيد عفتهم ويقوى تمسكهم بالفضائل . وقد يرى الناس في كثير من البلدان المتمدنة على تأخير الزواج من باب التصادي لكثرة النفقات التي ينفقونها فيه وعلى اولادهم ولكن يمكن تغيير ذلك وتقليل النفقات كثيراً فلا يصود الزواج الباكر من المباهظ بل يصير من المعونات

وقد جرت البنات الاوربيات والاميركيات المتعلمات على تأخير الزيجة الى السنة الثامنة والعشرين او التاسعة والعشرين من عمرهن لكي يتفرّغن للدرس في المدارس العالية ولمحاظرة الرجال في العلوم والفنون . وعدل بعضهن عن التزوّج مطلقاً واخترن العزوبة عليه لكي يخلصن من هموم البيت والاولاد . سئلت ناظرة مدرسة عالية عما يستفيده بنات مدرستها من العلوم بعد خروجهن منها فقالت ان ثلثهن يستفيد من علومه فائدة كبيرة وثلثهن يستفيد فائدة صغيرة واما الثلث الثالث فلا يستفيد شيئاً . فقيل لها وماذا يفعل اللواتي لا يستفدن فقالت انهن يتزوجن . وعلى هذا المنوال قلّ عدد الراغبات في الزواج بين الناشئات في العلوم

ومن رأي الخطيب انهُ اذا تزوّج البنات باكراً في السنة الحادية والعشرين او الثانية والعشرين كان نسلهن اكثر مما لو تزوجن في الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين لان العقم يحدث في سن معلوم فالتي تبكّر في زواجها تلد اكثر من التي تؤخره فاذا روعيت هذه القاعدة وأصلحت المساكن حتى قلّت الامراض شبّ الاولاد اقوياء الابدان والعقول وتناسل منهم اولاد اقوياء ايضاً تتقوى بهم الامة ويعظم شأنها . وتدرّج الخطيب من هذه القضايا النظرية الى قضية عملية فقال ان الشعب الانكليزي ينفق كل سنة على اعمال البر اكثر من اربعة عشر مليون جنيه تذهب كلها صدقات للمساكين أفليس عندنا سبل أخرى لمساعدة

ابناء الامة غير هذا السبيل . اني لا اشير الى الانفاق على تعليم الشبان مع اني ارى نفسي مدفوعاً الى ذلك لما فيهِ من النفع الكبير ولكني اشير الى ما يفعلهُ بعض الاغنياء المحسنين من مد يد المساعدة الى الشبان وهم في اول عمرهم ليسهل عليهم الارتقاء . ان من يقرأ ترجمات المشاهير يعجب من كثرة الرجال الذين ارتقوا بقليل من المساعدة وهم في اول اعمالهم . ولا اعني بهذه المساعدة ان يعتمد الشاب الفقير على الرجل الغني وتكون العلاقة بينهما علاقة المحسن الى المحسَن اليهِ بل ان يمدَّ الغنيُّ يد المساعدة الى شاب يمائله عقلاً وهمَّة ولكن لم يمضِ عليهِ زمن كافٍ لجمع الثروة مثلهُ فيكون بينهما نوع من المشاركة يفتخر بهِ كلٌّ منهما الغنيُّ يقول اني اعنتُ شاباً يستحق المعونة والشاب يقول اني استعنت برجل كريم لكي ارتقي في الاعمال واصير قادراً على اعانة غيري . اي تكون بينهما نسبة شريفة نسبة الشريك الى شريكهِ لا نسبة مهينة نسبة المحسن الى المحسَن اليهِ

ولا تقتصر المساعدة على الفتيان بل تتناول الفتيات ايضاً كأن يتكرَّم المحسنون بالمال على البنات القليلات الثروة اللواتي ينتظر منهنَّ النسل المرتقي حتى يسهل عليهنَّ التزوُّج وتربية الاولاد و يساعدن في تربية اولادهنَّ ايضاً

وابواب المساعدة واسعة لدى كبار الملاَّك وما ينفقونهُ في سبيلها رأس مال يعود عليهم بالربح الوافر فانهم اذا اختاروا اقوياء الابدان اصحاء العقول ودفعوا اليهم الاجور الكبيرة وبنوا لهم البيوت الصحية وساعدوهم في معيشتهم زادوا صحةً وهمةً فاحسنوا خدمة املاكهم والاعتناء بها . وكيف يُغفلون ذلك وهم لا يغفلونهُ في تربية مواشيهم بل يتباعون الجيد القوي منها باغلى الاثمان ويحسنون لهُ المأوى والعلف والخدمة فيعود ذلك عليهم بالفائدة الكبيرة

ومتى اختار الملاَّك اصحاء الابدان والعقول وجادوا عليهم بالاجور واسكنوهم البيوت الصحية ونظروا اليهم نظر الشريك الى شريكهِ لا نظر المحسن الى المحسَن اليهِ نشأ عندهم رجال يعتمدون على انفسهم ويُعتمد عليهم وقد ينبغ منهم اناس يرتقي بهم شأن الامة كلها

وختم الخطيب كلامهُ بقولهِ ان اصلاح نسل الانسان من الممكنات وان من يسعى في هذا السبيل فسعيهُ حميد مشكور . وهذا العمل كبير شاق ولكن غايتهُ تستحق ان يتعب لها الناس ويبذلوا الوسع في الوصول اليها . وما يليها بالامر المتنع لانها خاضعة لناموس الوراثة وهو على عظم شأنهِ خاضع لعقل الانسان اذا عرف ان يستخدمهُ وينتفع بهِ . وما من امةٍ احوج من الامة الانكليزية الى اصلاح النسل لاننا انتشرنا في اقطار المسكونة وعلينا يتوقف مستقبل الملايين الكثيرة من نوع الانسان . انتهى

وكثر اشتغال غلتن بهذا الموضوع اي اصلاح النسل فلخصنا في جزء اغسطس سنة ١٩٠٤ خطبة من خطبه فيه ثم انشأ مع جماعة من العلماء مجلة لنشر مبادئه وصفناها بالاسهاب في جزء يوليو سنة ١٩٠٩

وهو صاحب القاعدة التي وجدها بالاستقراء وهي ان الواحد يرث نصف قواه الجسدية والعقلية من والديه والربع من اجداده والثمن من آباء اجداده ونصف الثمن من اجداد اجداده والباقي وهو نصف الثمن من كل اسلافه فوقهم

وقد استقصى تاريخ مئة من المشاهير يبحث عن اسلافهم واولادهم فوجد الشهرة تنقل في آبائهم واولادهم على نسبة واحدة تقريباً اي انهُ اشتهر ٣١ من آبائهم و ١٧ من اجدادهم و ٣ من آباء اجدادهم واشتهر ٤٨ من اولادهم و ١٤ من احفادهم و ٣ من اولاد احفادهم

ومن المواضيع التي اشتغل بها اشتغالاً كبيراً والف فيها كتباً جليلة آثار الانامل ودلالتها على اصحابها واستخدام ذلك في تحقيق الشخصية . وقد اشرنا الى هذا الموضوع في كثير من مجلدات المقتطف الماضية من سنة ١٨٩١ فما بعد لاسيما في جزء سبتمبر سنة ١٩٠٠ حيث رسمنا آثار انامل غلتن نفسه ووصفنا كيفية استخدام هذه الآثار لتحقيق الشخصية في القطر المصري

جاءنا الفقيد ذات يوم ووجههُ يتدفق سروراً فقلنا لهُ ما الخبر فقال كنت الآن في محافظة مصر ورأيت كيفية استخدام آثار الانامل في تحقيق شخصية المجرمين . ولم يزد فعرفنا انها لذة العالم بعلمه والباحث ببحثه والمستنبط بفائدة استنباطه . وكثيراً ما حدثنا عن رحلاته في افريقية وعن مطارحاته مع العلماء فكنا نرى منهُ عالماً غزيراً على وداعة وبساطة وبُعد عن الدعوى . وهذا شأن كل رجال العلم والفضل الذين لقيناهم

وقد نشرت مجلة نائتر ترجمة سهبة لهُ قالت فيها انهُ بقية الرجال العظام قادة الحركة العلمية التي قامت في القرن التاسع عشر مثل دارون وكلفن وهكسلي ومكسول بل ارباب الالهام والابتكار فانهُ كان من القلائل الذين مكَّنتهم سعة معارفهم من البحث في كثير من المواضيع العلمية حاسباً ان العلوم مرتبطة بعضها ببعض فنقض الحاجز الذي يحصر اهل الاختصاص في موضوع واحد وبحث في مواضيع شتَّى فاغناها كلها ببثار بحثهِ مدة ستين سنة . وطريقتهُ التي امتاز بها ادخال البحث الكمي في كثير من فروع العلوم التي كانت يُظَن ان لا دخل للقواعد الحسابية فيها كالاحداث الجوية والاخلاق البشرية وما اشبه . ولم يكن باول من قال ذلك فقد سبقهُ اليهِ الفيلسوف روجر باكن حيث قال من لا يعرف العلوم الحسابية لا يمكنهُ ان يعرف علماً من العلوم بل لا يمكنهُ ان يعرف جهلهُ والعلاج الذي يشفيهِ . وقال لورد كلفن

انك اذا استطعت ان تقيس ما تصفهُ وتعبّر عنهُ بالارقام عرفت شيئاً من امرهِ ولكن اذا لم تستطع قياسهُ ولا التعبير عنهُ بالارقام فمعرفتك بهِ سطحية لا تغني شيئاً

ثم بيّن الكاتب كيف بحث غلتن في كثير من المواضيع بحثاً رياضياً فاكتشف قواعدها ونواميسها اي الاساليب التي تجري عليها فصارت من العلوم المتقنة المعقولة بعد ان كانت ظنوناً لا ضابط لها كما رأيت في انتقال الصفات الموروثة ومقدار ما يورث منها

وبعد ان افاض في هذا الموضوع تناول اخلاق غلتن وبيّن ما كان عليهِ من الوداعة والكراهة للجدل قال ولم اسمع منهُ كلمة تشف عن غيظهِ الاَّ مرةً واحدة وذلك ان احد مشاهير الاطباء ناقضهُ بقولهِ ان الصفات العقلية والادبية لا تورث ولا يقول بوراثتها الاَّ من يجهل نواميس الوراثة . فاجابهُ غلتن قائلاً « ان ما قالهُ حضرة الطبيب كان يحسن قولهُ منذ اربعين سنة قبلما دُرست نواميس الوراثة درساً مدققاً بالقياس والحساب اما الآن فصار من المحجور »

ثم قال الكاتب ان مسرّات غلتن العظمى كانت ثلاثاً الاولى ان يكتشف مسألة من المسائل العويصة والثانية ان يحلها حلاً بسيطاً والثالثة ان يكاشف بحلها احد اصدقائهِ

وكان يلجأ الى ابسط الوسائل لحل اعوص المسائل وكثيراً ما كان يستخدم طرقاً غريبة لنيل بغيتهِ فاذا قصد اجتماعاً وعلم ان الازدحام يكون فيهِ شديداً فلا يستطيع ان يرى ما امامهُ ولو كان واقفاً اخذ معهُ قطعة من الخشب القاها تحت قدميهِ ووقف عليها حتى يرتفع ويشرف على ما امامهُ من فوق رؤوس الرجال الواقفين حولهُ . وصنع نظارة ذات مرآتين مائلتين فيرى بها ما امامهُ ولو لم يستطع ان يصل بنظرهِ اليهِ . واذا رأى صورة اراد ادخالها في كتاب من كتبهِ ولكنها كبيرة لا تسعها صفحة الكتاب قصّر خطوطها طولاً وعرضاً تقصيراً متناسباً في لحظة من الزمان حتى قيل عنهُ انهُ اذا اراد احد ان يضع قنياً على ظهر جمل او يقيس قوقعة الحلزون او ينصب الشيودوليت في شوارع لندن المزدحمة بالمارة فعليهِ بغلتن فانهُ يعلمهُ كيف يفعل ذلك . ولو انقطع لعلم الهندسة لكان من كبار المهندسين كما انهُ لو انقطع لعلم الرياضيات لكان من كبار الرياضيين انتهى

وكان سكرتيراً للجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز ورأس القسم الجغرافي في مجمع تقدم العلوم البريطاني مرتين والقسم الانثروبولوجي مرتين . وكان رئيساً لمجمع الانثروبولوجي من سنة ١٨٨٥ الى سنة ١٨٨٨ وانتظم في عضوية الجمعية الملكية منذ سنة ١٨٦٠ ونال منها الوشان الملكي ونشان دارون وأُعطي لقب سر سنة ١٩٠٩ اي ان الحكومة الانكليزية لم تعترف بفضلهِ الاَّ بعد ان طبّقت شهرتهُ الخافقين

الملاك الاوّل

(تابع ما قبلهُ)

ان الحزن والاهتمام والخوف من اشدّ اعداء الحياة البشرية . فويلٌ للانسان الذي تستسلم نفسهُ لليأس ولا ترى امامها وسيلة تخرج بها من الضنك . فهو ليس الاّ عبارة عن شخص مقعد لاحراك به ينظر الى العالم ولا يرى فيهِ الاّ ظلاماً دامساً وخراباً بلقعاً . تضيق بهِ الدنيا على اتساعها وحبّا تغرّد لهُ العصافير وتصفّق لهُ اوراق الشجر وترقص اغصانها وتشرق الشمس ويطلع القمر حبّا حبّا كل ما تفعل له الطبيعة . فيجب علينا اذاً ان نتجنّب كل الاسباب التي من شأنها جلب الهموم وازعاج العقول كما نتجنّب التجارب الموصلة الى الجريمة

لا شك في ان للعقل قوّة في إطالة طور الشباب وازدياد رونق الفتوّة وحفظ الجسم في نموّ ورواء ما دام معتصماً بالاعتدال . ألم يقل شاكسبير « القلب الطيّب البهج يعيش طويلاً » ؟

الرجل السعيد هو الذي حصل على سرّ استدرار المسرّات من كل الاحوال المحيطة بهِ . المرأة السعيدة هي التي تبتهج كيفما كانت الاحوال هي التي لا تحرم نفسها من هذه السعادة في التشوّف والتطاول نحو الغنى والسفر والعلم والملذّات التي ربما لا تصل اليها مطلقاً بل هي التي تستدرّ من كل ما يحيط بها سروراً ولذّة وتبتهج اليوم بقطع النظر عمّا سيجلبهُ الغد . ولقد نظر بولس الرسول الى هذا الامر في قولهِ « افرحوا في كل حين »

قال غلادستون السياسي الشهير وقد كان اولى من غيرهِ بالاهتمام « لا اذكر اني فقدت ساعة واحدة من ساعات نومي بالاهتمام بما مضى او بما سيكون » فقد عوّد نفسهُ منذ الصغر ان ينظر الى كل الامور بعين السرور وطول البال . هذه هي الحياة الجامعة بين التعقل والابتهاج فطوبى لمن كان كذلك فانهُ بعقد الذين بمعهُ وسعيد هو الذي يعيش ويزيد الافراح في الكون . اذا كنتِ ايتها المرأة متمتعين بالجمال ومتوديّن الحصول عليهِ فاشغلي نفسكِ بجعل كل من حولكِ سعيداً فرحاً . أنعشيهم بكلامكِ وبضحككِ وبابتساماتكِ وبإخلاصكِ . لا تنسي ان للطفكِ تأثيراً شديداً في الكون واعلمي ان الكلمات اللطيفة التي ينطق بها ذو الوجه البشوش اطيب من العسل شهيةً للنفس وصحةً للعظام

اذا تقطّب وجهك صارت اثارهُ علقماً فيصبح كل كلامك ملاماً قارصاً فينتج المشاجرات الصغيرة والانتقاد الحاد وهذا ما يكدّر صفاء اكثر بيوتنا ويحجب عنّا كل سعادة . عيشي للغير ولاسعادهم اكتبي اسمك بشعاع الابتهاج في قلوب كل من تعاشرينهم فتحفظي لنفسك تمثالاً للفضيلة لا يمحوهُ كرور الايام وتسطع اعمالك واقوالك على الارض كما تسطع النجوم في السماء

وانتَ ايها الرجل لا تمتنع عن مدح امرأتك حينما تاتيك بما هو حسن فانك تشجعها وتقودها الى ما هو احسن وانت ايتها المرأة لا تتردد في مدح ولدك حينما يفعل الفضيلة فانك تحببين اليهِ ما هو اسمى وافضل . اخال كثيرين يقولون معي يا ليتنا نرى ماتمنا ونحن احياء . تموت المرأة فيقوم زوجها يؤبنها باحسن الآيات ويسكب الدمع دماً على نعشها معدداً حسناتها وقد لا يذكر سيئةً واحدة من سيئاتها فلو فعل ذلك مدّة حياتها لأطال ايامهُ وايامها فخدمتهُ باكثر امانةٍ واشدّ حرصٍ . لو بشّ بوجهها واعتبر الامور الطفيفة التي كانت تعملها حبًّا لارضائهِ وتغاضى عن انتقادها على كل امرٍ طفيف لكان اسعد نفسهُ واسعدها وأطال أمدهُ وأمدها

ايتها المهذبة

ايتها الوالدة علمي الاولاد ان يستدروا سروراً من كل حاجة وان ينظروا الوجه اللامع من كل حادثة . اذا وقع الولد وصدع رجلهُ فحالاً حولي انتباههُ الى ما هو سارّ ولا تدعيهِ يهتمّ طويلاً بالذي اصابهُ . اعصاب الصغار لا تزال غضّة فتعمل بها المؤثرات الخارجية فيهون عليك اذ ذاك تكييف عواطفهم وتعويدهم الابتهاج والبشاشة فانهُ يصعب عليكِ تكوين هذه الخلّة في الشباب وربما يستحيل تكوينها في الكهولة والشيخوخة . قولي لولدك الذي صدع رجلهُ كن شكوراً يا ولدي لان رجلك لم تتكسر كما اصاب رفيقك ابن جارتنا الشهر الماضي . واذا اصاب عينهُ لطمة اليمة قولي لهُ متشفّ قريباً واشكر الله يا ولدي كما انا اشكرهُ لانك لم تفقد عينك كما اصاب ذلك الولد الذي يمرُّ من جنب بيتنا فتناوبهِ الاولاد يا اعور . فعليكِ ايتها المهذبة مسؤولية كبيرة وكما تهتمين بتعليم الاولاد الموسيقى والشعر والتصوير وغيرها من الفنون الجميلة يجب عليكِ ان تغرسي فيهم هذه الخلّة خلّة السرور وتعلميهم ان يتجنبوا الهمّ والاهتمام كما يتجنبون المرض

قال احد الفلاسفة كن سعيداً تكن صالحاً فاذا كان الاهتمام عادة قبيحة فعلينا بمحاربتهِ بكل قوانا وتمرين ذواتنا على الابتهاج والضحك ايضاً

فاضحكوا واهزلوا بعض الاحيان ولماذا ؟

لو عرف البشر ما للضحك من الاهمية في حفظ الصحة واطالة الحياة لانقشعت غيوم الهموم عن الناس وجاع الاطباء . فالضحك تتمرّن اعضاء الجسم على الحركة وفي نفس الوقت تحصيل على سرور وانتعاش فكلما ضحكنا يحدث ارتجاج واهتزاز في الاعضاء الهضمية فتسرع في عملها ويجري الدم بسرعة في الاوعية الدموية فينتعش الجسم وتبرق العينان فيتسع الصدر الذي منهُ يخرج الهواء الفاسد ومن ثمّ يدخلهُ الهواء النقي فتحيى الرئتان

قال الدكتور بتلر المختبر الشهير والعالم المتفنن في الامراض العصبية « ان الضحك القلبي هو احسن دواء للامراض العقلية . فاينا ينكر فعلهُ المنعش في ليل مزعج او سهر محزن او فكر مقلق » ؟

تحكم علينا الازياء هذه الايام بان الابتسام اذا وصل الى حد الضحك كان في السيدات المهذّبات عيباً . ولكن لما كانت تلك الحاكمة الظالمة تقتل النساء بشدّ الخصور وتمريض الصدور لهواء السحور وضغط ارجلهن في الصين بقوالب من حديد غيرت تابيتي ونبذت حكمها وانتميتُ الى فئة من البشر تشير عليها الطبيعة وهي الحاكمة العادلة بان الضحك من أفيد الامور في تغذية عقل الانسان وجسمه

حفظ لنكولن في خزانة كتبه بعض اقوال وروايات صغيرة هزلية كان يلتجئ اليها في اوقات الجدّ وتعقّد المسائل السياسية فكان يُغرب في الضحك عند قراءتها فتُحلّ تلك العقد بسهولة غريبة ويعود الى عمله فرحاً نشيطاً . وقال بعضهم في كتاب الى صديق لهُ « لولا المزح الذي يخلل اوقات الجد والعمل لكنت اموت لا محالة »

فايُّ الناس لم يسمع او لم يقرأ شيئاً عن مارك توابن الكاتب العصري الذي اشتهر بروايات المزلية الخالية من المجون وكيف كانت الناس تحتفُّ حولهُ وتجلُّ مقامهُ اقراراً بتأثير نكاته وهزلياته التي كثيراً ما زينت المجالس في اميركا واوربا واضحكت ملوكاً على عروشها . مات في غضون هذه السنة وقد عدّت الجرائد وفاتهُ خسارة جسيمة على عالم الكتابة والعلم واثبت المقتطف ترجمتهُ في المجلد السادس والثلاثين من هذه السنة . فقد اسعد هذا الرجل الوفا بحياته وستسرُّ كتاباتهُ جماهير من القراء بعد مماته

قبل الختام اعود اليك واكلمك شخصيًّا ايتها المرأة . ولماذا ؟ قد ذكرت السبب في اول كلامي وسازيد عليهِ كلاماً ليس باقل اهمية وهو انك اكثر محور السعادة في الكون مهذبة

الجيل التالي ملكة البيت ومديرة شؤونه . فاذا كنت لا تقدرين ان تجعلي بيتك مشرقاً مبهجاً سماء اولى ليكون ملجأ لزوجك من الاهمال وملاذاً يلوذ به من الاتعاب الطالبة فسكين هو رجلك فهو بالحقيقة بدون مأوى . عالم الرجل ملآن من رياح الغدر والفتن والطمع ومن آفات اللؤم والرداءة التي تهب وتسعر في كل مجتمع انساني فاذا لم تكن البشاشة سائدة بين جدران بيتك فكأنهُ يستجير من الرمضاء بالنار « ويهرب من الدلف الى تحت المزراب »

سرّ نجاحك معقود بتصفية نفسك فوجهك لا يكون بشوشاً ان لم تكن عواطفك الداخلية شريفة نقية . كل عاطفة فيك اما ان تزيدك جمالاً واما ان توليك شناعةً لان كل ما تعمليهُ او تقوليهُ لا يمحى بل يترك تأثيراً في الدماغ والنفس فلا بد من ان تكوني مسرورةً في الداخل لكي تكوني جميلةً بشوشة في الخارج

الاهتمام والتهيج والشراهة واليأس في ذات تأثير شديد فيك لا بل هي سمٌّ قاتل لجسمك . اذا لا سمح الله رفرف الفقر فوق بيتك واصبح عارياً من كل لامع يبهر وثمين يجلب فلا تنادي بالويل والثبور ولا تغطي وجهك فتحرمي نفسك وذويك من كل سعادة بل اجتهدي ان تعوضي عن المفقود بلطفك وعذوبة كلامك . وعندما يخيل لك ان الشقاء ضاربٌ اطنابهُ من كل جهة عليك وليس لديك من قوة لمقاومتهُ فاكتسي برداء القناعة ولا تحتقري نصيبك بل انهضي نهارغد واخرجي الى الطبيعة اجيلي نظرك في الارض اولاً ثم حلقي بهِ الى عنان السماء ثانياً حيث تنبعث اليك شرارات من الوحي الالهي فتريك ان الله قد كسا الارض بحلة زاهية من اجلك . وعلّم العصافير ان تغرّد بانغامها الشجيّة كي تطربك . سترين ان الكون باسره يبتسم لك فيخيل لك ان الجو اكثر صفاء من المعتاد وثوب الارض اشد خضرةً وان الاشجار اكثر غضاضة والازهار ازكى عطراً وان الهواء اطيب وانعش وان العصافير اعذب تغريداً فالحياة عظيمة وما اسعدها ! ! ما اجمل ان تفتحي عينيك في الصباح وتنظري الى كل هذه الامور لتستنشقي الهواء النقي وتتمتعي بالغزالة الطالعة . لتشعري ان نبضك يضرب واعصابك شديدة حيّة . فحبك ان الحياة كلها لك والعالم لك . وكل ما فيهِ جميل . فالسماء والملائكة هي هنا وعندنا والاّ فلا وجود لها على الاطلاق

جوليا طعمه

التربية

١ الرابطة بين الافراد والجماعات والتأثير الوراثي

كما ان وجه الارض لا يزال في تبدل خفي من المؤثرات الطبيعية التي تتعاقب عليه ، فكذلك حال الهيئة الاجتماعية لا يفتأ في تبدل دائم تبعاً للتأثيرات على افرادها

الافراد تؤلف العائلة ، والعائلات تؤلف الامة ، والامم تؤلف الهيئة الاجتماعية ، لتتصل كلها بعضها ببعض اتصالاً يشبه السلك الكهربائي من حيث انهُ اذا مُسَّ طرفهُ سرت الحركة فيهِ الى آخرهِ

على ان موضع التأثر من الافراد قوام الطبيعية الثلاث ، القوة الجسدية والعقلية والاخلاقية . فتتهيأ الافراد بتهيؤ قوامها لتكيف الامم بحكيف افرادها . فان صلحوا صلحت ، وان فسدوا فسدت ، غير ان هذه القوى تتفاوت في تأثيرها في الهيئة الاجتماعية ، والقوة العقلية صاحبة المركز الاول ، وهي قبل غيرها مصدر التبدلات في العالم الانساني فلا يتبدل غالباً حال امة الاَّ بعد تغير في افكار افرادها وقد ابد ذلك العالم لوبون بقولهِ « ليست المعتقدات والحوادث العظيمة الخالدة في بطون التواريخ الاَّ نتائج تغير خفي في افكار الناس »

ولما كانت التربية اشد المؤثرات على قوى الافراد الطبيعية وكانت هذه كرمام للهيئة الاجتماعية ، اصبح المربون احرى الناس تلقباً بقادة الامم

على انهُ مع ما للمربين من القوة بتحويل الامم فهل يصح قول قائلهم « اتركوا لي تربية الاطفال لا بدل لكم وجه البسيطة » ؟

كلاَّ ، لا يستطيع القائل الوفاء بوعده ذلك لأن كرور الزمان من اهم الشروط لنجاح التربية ، واذا سلمنا انهُ باستطاعتهِ تعهد كافة اطفال البسيطة بالتربية فليس بوسعنا التسليم بامكان تعميرهِ الزمن المقتضي لنجاح تربيتهِ واتمام بنيتهِ

ان التغير البيّن في احوال العالم لم يحصل الاَّ بعد تبديل الاخلاق والعادات والمعتقدات الثابتة ، وهذا لم يتم الاَّ في زمن طويل يقارب المدة التي تكيفت بها احوال الامم ، يؤيد ذلك لافيس بقولهِ « ما من نظام يقوم في يوم واحد بل لا بد لتقرير النظامات السياسية والاجتماعية من مرور الاعصر والاجيال »

اجل ، ان الزمان من اهم الشروط واللزمها لنجاح التربية وتفريع المبادئ لان اخلاق الامم ومعتقداتها غرائز ثابتة تتوارث ابًا عن جدٍّ ، وتأثير التربية في الانسان يوازي

تأثير العوامل الطبيعية في جسمه من حيث تغييرها التدريجي فيه وعدم قوتها على تحويله التحويل الفجائي . فكما ان ابن الشرقاوي مثلاً يولد في بلاد الزنج ابيض ولكن المحيط يعمل مع الزمن على تبديل احفاده شيئاً فشيئاً الى ان يصيروا كالزنوج سواداً فكذلك التربية لا يمكنها تبديل الغرائز البشرية دفعة واحدة وانما تؤثر في تلطيفها تلطيفاً يتزايد مع الايام حتى يصير تحويلاً كما بيّن ذلك الكونت دي مجير بقوله « لا تؤثر التربية الاّ من حيث تلطيف امر الطبيعة الاصلية وتهذيبها »

على ان صاحب « روح الاجتماع » يوضح ذلك باكثر تبيان حيث يقول « ان كثيرين لا يزالون يتخيلون انهُ يتيسر للامة ان تنشئ نفسها من جديد غير مستعينة في ذلك الاّ بقوة العقل وفاتهم ان الامة جسم منظم رتبهُ الماضي وهي كغيرها من الاجسام لا تنتقل من طور الى آخر الاّ تدريجياً بتراكم آثار الوراثة »

هذا وان الاسلام يؤيد هذا الاعتقاد مصرحاً بالتأثير الوراثي بما جاء في القرآن الكريم عن لسان بني اسرائيل خطاباً للسيدة مريم يستنكرون عليها الولادة من غير زوج قائلين « يا مريم ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيّاً » . وهم يعنون بذلك تقديراً منه كيف اتيت ما لم يأتهِ احد من اهلك

وفي الحديث الشريف « العرق دساس » . على ان كلام العرب مملوء بما يصادق على ذلك . نقتصر على ايراد قول احدهم « وما كانت الاخلاق الاّ غرائزاً » . وعلى قول المعتمد بن عباد مفتخراً

شيم الالى انا منهمُ والاصل تنبئُ الفروعُ

فعلى ذلك لا مسوغ للذين ينكرون على العثمانيين بقاء كثير من عاداتهم الاستبدادية بعد الدستور لان تبديل الاسماء لا يكفي للقضاء على التقاليد القديمة وانما يقتضي لذلك زمن تنشأ فيه ناشئة جديدة على المبادىء الديمقراطية فتكيف اعمالها طبقاً لتربيتها . فليتئد المتسرعون

٢ تطور التربية وفقاً للزمان

اما القوى الطبيعية اي الجسدية والعقلية والاخلاقية فهي كبزور النبات مستعدة كلها للظهور وانما يظهر منها على غيره اكثرها تعهداً بالتربية ولما كانت حاجة الاجيال تختلف باختلاف تقاليدها وعاداتها الاجتماعية كان تعهد كل من القوى الطبيعية يتبع الحاجة الاكثر لزوماً لذلك العصر

في الزمان الغابر كانت الحاجة تدفع البشر للاهتمام بقواهم الجسدية وحدها لانها كانت السلاح للتنازع البقائي والعامل لحفظ الحقوق بل والبرهان ايضاً لتبرئة المتهم كما يستفاد من قول دافد وطسن رأي «كانت يراهين التبرئة عند النورمانديين ان يرسل المتهم الى الحرب فان هلك كانت التهمة صحيحة والهلاك عقابهُ . فكان الخصمان يقتتلان امام القضاة والغالب يبرأ . فلذلك نشأ منهم الرجال الابطال الذين نكاد نكذب ما يروى لنا عنهم لبون الشاسع بين قواهم الجسدية وقوانا الآن

ثم كانت بعض الاديان للقوة الادبية كالماء والهواء والنور للنبات فانشئها بعد ذبولها بل احيتها بعد موانها حتى ملكها الناس مكانة القوة الجسدية فنبت منهم نابتة رقيقة الشعور دمثة الاخلاق

ولما ظهر التمدن الحديث وكان على العقل محورهُ وعلى الشعور الحسي معتمدهُ تعهّد الانسان القوة العقلية بالاستخدام والتربية حتى فاقت لديه اختها كما فاق هو اسلافهُ بالاستفادة من العقل واخراج الافكار الى حيز الاعمال حتى ان اختراعاته اليوم ربما حسبها الاقدمون من قبيل السحر او معجزة سماوية

٣ هل توصل الانسان الى التربية التامة ؟ وما مبلغ ابن العصر منها ؟

قبل الحكم في ذلك يقتضي معرفة المقصود بالتربية التامة . ثم اذا علمنا ان المراد بها كما عرّفها «كانت» «انماء كل ما في الانسان من القوى» اي تنمية القوى الجسدية والعقلية والادبية معاً حينئذٍ يسهل علينا القول بان الانسان لم يدرك الى الآن التربية التامة لانهُ لم يكن في زمن من الازمان مهتماً بجميع القوى الطبيعية على السواء

اما مبلغ معاصرينا من التربية الصحيحة فيختلف الكلام فيهِ باختلاف الامم . ولما كان المقام لا يسعنا التخصيص فنعمم القول عن الغربيين والشرقيين

فمع ان الغربيين اجمعوا على جانب عظيم من الاعتناء بالتربية العقلية والجسدية فاننا نلاحظ بحق ان العاطفة والشعور والقدسة وسواها من اركان التربية الادبية كانت تضعف عندهم كلما تقدموا قيد شعر في المدنية الحديثة . فكم منهم يموتون جوعاً وبرداً في لندرا قرب قصور اللوردات المملوءة زاداً ووقوداً ؟ . وكم من الاباء او الاولاد يعجزون في نيويورك عن متابعة العمل فلا يجدون لهم من اولادهم او اباتهم معيناً فيموتون حسرة واسفاً ؟ . وكم في البلاد اللاتينية من المحتالين والسارقين في المعاملات حتى لدى اعاظم البيوتات التجارية ؟ .

هذا واما التربية الشرقية فقد اصبحت مهملة ومشوشة الاساليب بما خالطها من التقاليد الافرنجية . فالتربية الجسدية منبوذة جانباً والعقلية ناقصة من حيث طرق التعليم . واما التربية الادبية فمضطربة وفي حال التطور

فالغربيون يجب ان يعودوا الى التمسك بالدين سداً للنواقص في تربيتهم الادبية

والشرقيون يجب عليهم الاعتناء بتنمية قواهم الثلاث . الجسدية بالمحافظة على القواعد الصحية والرياضية . والعقلية بتحصيل العلوم الطبيعية والبحث في اسرار الكائنات . والادبية بالتخلق بالاخلاق الدينية وتحصيل ما يوافقها من المستحسنات العصرية

فاذا قام كل من الغربي والشرقي بذلك حصل ابناء العصر على التربية التامة المنشودة في كل زمان وساد بينهم السلم والسلام

بيروت محمد جميل بيهم

القصر البالي

وقفتُ وقد ساد الدجى قلقَ الفكرِ أمُدُّ بأبصاري الى منزلٍ قفرِ
تلفَّعَ مثلي بالظلام وقد غدا بعيداً عن العمرانِ يأنس بالهجرِ
وهبَّت به الارياحُ حرّى كأنها صواعدُ انفاسٍ تهبُّ من الصدرِ
وسالتْ عيونُ الماء فيهِ كأنها دموعٌ على آثار سكانهِ تجري
ومالت عليهِ دَوْحةٌ بذيولها وقد خرجتْ من بهجةِ الورق النَّضرِ
فكانت كثكلى فوق قبرٍ فقيدها ممزّقةَ الجلبابِ محلولةَ الشعرِ

***

تحتُ ظلالَ الموت تبدو وتختفي بهِ وعُبابَ الشرّ يقذفُ بالشررِ
فقلت أجنٌّ ما ارى ام خيالةٌ ترفُّ ام الاموات تنسلُّ من قبرِ
ام الفلكُ الدوّارُ تنهالُ شهبهُ أم الارضُ قد دارت بها أخذَ السحرِ
وصحتُ وقرطُ العيّ يوشكُ انهُ يسدُّ فمي لولم اعذْ منهُ بالصبرِ

***

أيا قصرُ قل لي اين اهلكَ ما الذي عراهم أما من هاتفٍ لبّك ذي خبرِ

أَلَم تكن الاقدارُ تجري بأسرهم فإما الى يسر وإما إلى عسر
فهل علموا من قبل ان نزلوا الثرى بما في ضمير الغيب من حازب الامر
وانَّ عمال الارض تُوبك بعدهم فتخرج من وكر وتدخلُ في وكر
ألم تكُ قبل اليوم صرحاً مشيَّداً يحوم على أذياله طائرُ النسر
فكيف هوت اركانك الشم وانطوى جمالك حتى بتَّ صخراً على صخر
فيا لك من قصر تخوَّنهُ البلى وأزرى به بعد الخيلة والكبر
تناوَحَتِ الاحياء غائلةَ الرَّدى به فتراموا في البلاد من الذُّعر
وكانوا كجُمَّاع الرَّبا فأصبحوا حزائقَ ذهب البين في السهل والوعر
أتلك هي الدنيا؟ أهذا مآلها؟ لعمرُك انَّ العالمينَ لفي خسر

وما هي إلاَّ الهةٌ ثم لفتةٌ رميت بها الاكوان بالنظر الشزر
فما اخذتني نشوةٌ من جمالها ولا ضحكت نفسي الى ضاحك البدر
وبتُّ خيال القصر اندبُ حظهُ واسفحُ فيه الدمعَ كالدرِّ الغُزر
واعجبُ من دنيا تناحرَ اهلها فلم يذعنوا للنصح فيها ولا الزجر
فللهِ من ليلٍ لبستُ سوادهُ فجنبني عن اعين الناس في ستر
وبي ألمٌ حرُّ المدى دون برحهِ تذوب له احشاء كلِّ فتى حرّ

فهل من حكيمٍ لا يزالُ يراعهُ إذا عزَّهُ أشفقتَ له حجبُ الدهر
ليسبرَ اسرار الحياة وما الذي يرادبأهل الارض في الطيِّ والنشر
ويخبرَ عنهم ربةَ طال عهدُها فيظفر في الدارين بالحمد والاجر
فإني امرؤٌ طلبتُ أمري وكتما وقفتُ على سرٍّ وقفتُ لدى سرّ
كطلمية التيار ينقضُّ موجها ولا يتعدَّى شوطهُ ساحلَ البحر

وقفت اؤمُّ الحي مضطرب الخُطى كأنَّ طريقي فوق مضطرم الجمر
فقد ضقتُ ذرعاً بالوجود وضاق بي وغابة عيلي عنهُ « انِّي لا أدري »

الخرطوم فؤاد الخطيب

اصل الانسان

اصبحت مسألة اصل الانسان في هذه السنين الاخيرة الشغل الشاغل لاكثر العلماء الطبيعيين بعد ان حلّت تلك القيود والاغلال الدينية التي كانت تمنع العالم الباحث عن التصريح بارائه وبما يتوصل اليهِ من البحث والاستقراء. لاسيما بعد ان قام دارون وتبعهُ في ذلك هيكل وبحثا في اصل الانسان بحثاً وافياً تفوّقا بهِ على من تقدمهما من العلماء الطبيعيين القائلين بهذا المبدإ. وقد توصلا اخيراً بالحجج العلمية الى النتيجة التالية وهي ان الانسان الاول مرتقٍ عن الحيوان فكان ذلك داعياً الى تنبه افكار العلماء الى هذه المسألة وصرف مجهودهم في سبيلها. فاخذ انصار هذا المبدإ والقائلون بهِ يكثرون من يوم الى اخر وكان البحث والاكتشاف يزيدهم تثبتاً بهِ واقتناعاً بصحتهِ

اما الاسباب التي دعت العلماء الطبيعيين الى ترجيح هذا الراي والاهتمام بهِ فهي تعدد الاكتشافات في النصف الاخير من القرن الماضي كالهياكل البشرية المتحجرة والادوات التي وجدت في طبقات الارض وما كان من تقدم علم تشريح المقابلة وعلم الاجنة وهما العلمان اللذان يساعدان على تشخيص الانسان الاول وتبيان الشكل الذي كان متصفاً بهِ

ولقد ترددت في اثناء اقامتي في باريس على متحف التاريخ الطبيعي وتشريح المقابلة وهو اغنى متحف من نوعهِ في العالم يحتوي على بقايا الحيوانات المتحجرة على انواعها وهي مرتبة حسب وجودها على الارض ترتيباً بديعاً من الادنى الى الحيوانات التي نشأت مع الانسان. وهناك ردهة للانثروبولوجيا وهي مجموعة هياكل بشرية من اكثر اطراف المعمور مرتبة بحسب الانواع البشرية يستخلص منها تاريخ دماغ الانسان وارتقائهِ

ولقد تعرفت بعالم كبير لهُ شهرة واسعة بين العلماء الطبيعيين وهو الدكتور ثرنو استاذ الانثروبولوجيا في هذا المتحف وامين متحف الاثنوغرافيا وتحت نظارتهِ معمل يجانب المتحفين يصلحون فيهِ الهياكل العظمية والجماجم التي ترد اليهم من الخارج ويطلونها بمادة لمنع الفساد قبل عرضها. واتفق انهُ التقى في تلك الاثناء محاضرة في اصل الانسان صدّر بها الجورنال الباريسي عددهُ الصادر في ٢٢ اغسطس الماضي فاستأذنتهُ في نقلها الى قرّاء العربية وهذه ترجمتها

ان اكتشاف بعض الهياكل البشرية المتحجرة في هذا الزمن الاخير قد اعاد على بساط البحث مسألة اصل الانسان وهي التي كانت دائماً الشغل الشاغل للامم العصبية والمتمدنة معاً.

حتى كان كل فريق منهم يحسب خلق اجداده الاولين الى ذوات فائقة الطبيعة . فيزعم سكان استراليا القيمون في جبال ملبورن انهُ في احد الايام اوحى الى الاله بندجل بان يصنع من الصلصال تمثالين على صورة الانسان . ثم عمل من لحاء الشجر شعراً سبطاً لاحدهما وشعراً جعداً للآخر واخذ يرقص حولها ثم اضجع فوقهما ونفخ في انفيهما وفميهما وسرتيهما ثم عاد الى الرقص فانتصب التمثالان تامي الخلق . وهذه القصة تشبه قصة بتولومه اليونانية

ويعتقد قوم الاوفاس هريروس (Ovas Herreros) في افريقيا الجنوبية ان اول رجل وامرأة ولدتهما شجرة . ويقول بعض الزولس (Zoulous) ان جدهم الاكبر قذفتهُ بقرة . ويزعم الاقوام الخاسيو اللون ان جدهم الاكبر إما الارنب الكبير المقترن بابنة فارة المسك او الذئب او الكلب او النسر او الغراب حتى والحية ايضاً . ويزعمون ان هذه الحيوانات ليست الاَّ آلهة مبدعة

ومما يلاحظ في بعض الاساطير ان الآلهة كانت تأتي اعمالها بدون تبصر وروية فقد جاء في اساطير اوستراليا ان مورا مورا (اي الروح الصالح) خلق في اول الامر عظام سود الالوان صغار الاجسام لكنهُ لم يجعل لها اصابع ولا اباهم . ولكي يصلح العمل الذي اغفلهُ شق لها ايدي وارجلاً ثم وهبها انفاً وشفتين وامرها ان تقف مستقيمةً . ولما كانت اذنابها مرسلةً دائماً الى الامام قطعها منها ومن ذلك الحين طفقت تسير مستقيمةً وصارت بشراً

ولما اتفقت اساطير الاقدمين على قدم وجود الانسان على الارض فان المسيحيين انفسهم قد اختلفوا في هذه المسألة فيرى بعضهم ان وجود آدم على الارض كان قبل التاريخ المسيحي بثلاثة آلاف وسبعمائة سنة ويقول البعض الآخر ان بدء الخليقة كان قبل المسيح بسبعة آلاف سنة والمحقق عند علماء الطبيعة ان الانسان وجد في زمن بعيد جداً قبل اقدم زمن يذكرهُ التاريخ . فالانسان قد ثبت وجودهُ في طبقات الارض التي تكونت قبل العصر الجيولوجي الحالي باكتشاف الاسلحة والادوات الحجرية والعظمية والعاجية والقرنية ووجدت معها بقايا الحيوانات التي كانت عائشة في ذلك العصر ونظراً لترقي علم الاحافير (Paleontologie) يمكن تعيين الزمن الذي عاشت فيهِ . فقد وجد في اوربا مثلاً بقايا مصنوعات اسلافنا الاقدمين بجانب متحجرات الرنة (Renne) والشره (Glouton) والظبي المسمى (Antilope saiga) والماموث (Mammouth) والكركدن (Rhinocéros) ذي القرنين المنفصلين الخ

والطبقات التي هي اقدم من ذلك تحتوي على ادوات حجرية غليظة بجانبها متحجرات من

بقايا الفيل والكركدن وفرس النهر وانواع غيرها من الحيوانات التي لا اشباه لها الآن في الجهات الحارة من الكرة الارضية . وعلى ذلك يكون الانسان من يوم ظهوره على وجه الغبراء حتى يومنا الحاضر قد شاهد تغيرات عامة ومتعددة طرأت على الاقاليم وعلى عالمي الحيوان والنبات

ولم يتوصَّل العلم حتى الآن الى تقدير الزمن الذي مرَّ على ظهور الانسان على الارض وان جميع الرسائل والافتراضات التي جاء بها العلماء لتقدير هذا الزمن كانت مدعاة للشك والانتقاد . فالاستاذ مرتيه (Mortillot) يقدِّر تاريخ ظهور الانسان على الارض بمئتين واربعين الف سنة ولو فرضنا ان هذا التقدير مبالغ فيهِ وقلنا ان ظهور الانسان على الارض كان منذ مئتين الف سنة يكون ذلك دون الحقيقة

واما في الصناعة فالانسان الاول لم يكن ارقى كثيراً من بعض القرود الشبيهة بالانسان فكانت آلاتهُ وادواتهُ الاولى من الاغصان ومن حجارة غير مصقولة . فان اقدم الادوات المصقولة التي نعرفها كانت من شظايا الصخور (الظران) او من قطع حجارة مرققة قليلاً . ثم اخذت اسلافنا تتقن صناعتها وتهذبها شيئاً فشيئاً فلما ظهر الايل المعروف بالرنة (renne) في فرنسا مثلاً كان سكانها قد توصلوا الى معرفة النقش والحفر فرسموا اشكال الحيوانات التي كانت عائشةً في زمانهم

ولكن هل ارتقى الانسان طبيعياً كما ارتقى عقلياً؟ فيجيب عن ذلك بان جميع الابحاث التي عملها علماء الحياة قد اظهرت ان الكائنات الآلية كلها من نبات وحيوان تتكيف وتتحول متى تغيرت الاحوال المحيطة بها . واجمعوا كلهم على ان الانسان خاضع لهذا النظام كغيرهِ من الكائنات الحية . ولما كانت الاشياء المكتشفة معهُ قد تكيفت وتغيرت من حين ظهورهِ حتى الآن لا يمكن ان يبقى شكلهُ ثابتاً غير قابل التغير . وهو ما دعى داروين وتلميذهُ هيكل الى ان يبحثا باستنادهما على مبادئ عملية عن صفات اسلافنا الاولين . فتوصَّلا بالاستقراء الى ان الانسان الاول كان احط مما هو الآن . واثبت هيكل اننا متناسلون من مخلوق حاز لصفات قردية وبشرية معاً ودعاهُ الانسان القردي . ولقد كانت هذه المبادئ مدعاةً لسخرية اناس كثيرين بقولهم لهُ ارنا الانسان القردي او برهن لنا على الاقل ان اسلافنا الاولين يختلفون حقيقة عنا

وقد اكتشف في الخمسين سنة الاخيرة عدد وافٍ من هياكل البشر المتحجرة واليكم ما افادونا درسها

ان النوع البشري القديم الذي وجد في كرومانيون (Cro-Magnon) وهو الذي ترك

لنا المصنوعات الفنية التي اشرت اليها كان كبير الجثة قوي البنية ولرأسه وبعض اعضائه صفات خاصة . وان نوعاً آخر اقدم مما تقدم وهو الذي وجدهُ بولس موناكو في كهوف بوسه روسه (Boesse Rousse) المشهورة بالقرب من مانتون (Menton) هياكلهُ قريبة جداً من هياكل الزنوج

وقد نبشوا من اراضٍ عريقة في القدم هياكل بشرية ذات شكل متناهٍ في البهيمية واول هيكل اكتشفوهُ من هذا النوع في نياندرتال (Neanderthal) استغربوا شكلهُ جداً حتى ان بعض العلماء ظنوهُ هيكل انسان مريض او معتوه لكن الهياكل الاخرى التي كانت في ذلك العصر وقد وجدت بقاياها في بلجكا وفرنسا وسويسرا والمانيا كانت مثلهُ تماماً ولها نفس الصفات

ولقد كان مدار البحث في هذه الايام على الهيكل الذي وجد في شابل اوسان (Chapelles-aux-Saints) في كوريز (Corrèze) ويمكن ان نخبهُ مثالاً لما كان عليهِ اسلافنا الاقدمون فقد كان صاحب هذا الهيكل صغير الجسم قوي البنية لهُ جمجمة مفلطحة مضغوطة الى الوراء وفوق حاجبيهِ نتوء غليظ يمتد من الصدغ الواحد الى الآخر ووجناتهُ كبيرتان وذكاهُ بارزان وذقنهُ صغيرة جداً تكاد تكون مفقودة ووجههُ عريض . وقد عثر ايضاً على هياكل في سبي (Spy) بحث فيها الاستاذان فربون ولاهست بحثاً مدققاً فاثبتا ان ارجل اسلافنا كانت مقوسة

فهل بعد هذا كلهِ نقول ان آراء هيكل اضغاث احلام ام نقول انهُ كان في ما مضى من الدهر حيوان بين الانسان والقرد وهو جد البشر لاسيما بعد ان اكتشف الدكتور اوجين دوبوى تلك العظام في جزيرة جاوى وهي لقف جمجمة وسنّان وعظم فخذ فظهر انها عظام حيوان بين القرد والانسان حسب السلسلة التي وصفها هيكل

يظهر مما تقدم ان البشر فيما مضى كانوا قريبين جداً من القرود وان الانسان الذي وجد في نياندرتال وهو اقدم الانواع البشرية التي وجدت حتى الآن شبيه جداً بالشمبانزيه والغورلا والاورانغ والجيبون لكن هذا النوع من البشر قد تقدمتهُ انواع اخرى اقدم منهُ وقد ثبت وجودها مما تركتهُ من الآثار كالادوات الصوانية التي اكتشفت في سان اشيل (Saint - Acheul) وشل (Chelles) ومتى عثر على هياكل هذه الانواع تتحكم القرابة بين الانسان والحيوان . اما العلم في وقتنا الحاضر فلا يرتاب فيها

الياس القشان

نمو السكان ومستقبل الانسان

لا شبهة ان سكان القطر المصري تضاعف عددهم في نحو ثلاثين سنة . كان عددهم ٦٨٢١١٣١ سنة ١٨٨٢ فبلغوا ١١٢٨٧٣٥٩ سنة ١٩٠٧ فاذا فرضنا ان عددهم يتضاعف كل خمسين سنة لا كل ثلاثين بلغوا ٢٣ مليوناً سنة ١٩٥٧ و٤٦ مليوناً سنة ٢٠٠٧ و٩٢ مليوناً سنة ٢١٠٧ . ولكن لو زاد عدد السكان على هذا النحو دائماً بل لو تضاعف كل مئة سنة لا كل خمسين سنة منذ الفتح الاسلامي لكان عددهم الآن اكثر من اربعين الف مليون نفس اي اكثر من سكان المسكونة كلهم خمسة وعشرين ضعفاً . اما في الزمن الماضي فلم يكن ذلك ميسوراً لا لأن المواليد كانت قليلة بل لان الوفيات كانت تساوي المواليد او تزيد عليها بسبب الامراض والاوبئة والحروب والمجاعات ولذلك مرّ على القطر اثنا عشر قرناً وسكانهُ ينقصون لا يزيدون حتى انحط عددهم في اوائل ايام محمد علي الى نحو مليونين ونصف مليون لا غير بعد ان كانوا في زمن الفتح نحو عشرة ملايين

وقد كان ذلك حال كل الامم ولا يزال حال الامم المتوحشة او غير المتمدنة حتى الآن . مثال ذلك ان سكان انكلترا وويلس كانوا ٣٧٠٠٠٠٠ نفس سنة ١٤٨٠ فصاروا ٦٥٠٠٠٠٠ سنة ١٧٥٠ اي زادوا ٢٨٠٠٠٠٠ فقط في ٢٧٠ سنة او ٧٥ في المئة ثم زادوا في الثلاثين سنة التالية ٣٠٠٠٠٠٠ فكأنهم زادوا في ٣٠ سنة مقدار ما زادوا قبلاً في ٢٧٠ سنة . ثم زادوا من سنة ١٧٥٠ الى سنة ١٨٥٠ اكثر من احد عشر مليوناً لانهم كانوا ٦٥٠٠٠٠٠ فبلغوا ١٧٦٠٠٠٠٠

وقد حسبوا ان المانيا فقدت بالحروب سنة ملايين نفس من سكانها في ثلاثين سنة بين سنة ١٦١٨ و ١٦٤٨ وان الموت الاسود اي الطاعون اهلك نصف سكان انكلترا في سنة واحدة بين سنة ١٣٤٨ و١٣٤٩ وكثيراً ما كان الطاعون يميت ربع السكان الى نصفهم في السنة الواحدة فسنة ١٥٩٣ بلغت وفيات الطاعون في بلاد الانكليز ٢٤٠ في الالف وسنة ١٦٢٥ بلغت ٣١٠ في الالف وسنة ١٦٦٥ بلغت ٤٣٠ في الالف

ولما فشا الطاعون في المسكونة منذ خمسة قرون ونصف مات بهِ ثلثا الناس كلهم ومات بهِ في اوربا وحدها سنة ١٣٤٧ خمسة وعشرون مليوناً ومات بهِ في القرم ثمانون الفاً وفي مدينة البندقية مئة الف

وقد حسبوا ان متوسط عمر الانسان كان في مدينة جنيفا بسويسرا في القرن السادس

عشر ٢١ سنة وفي القرن السابع عشر ٢٦ سنة وفي القرن الثامن عشر نحو ٣٤ سنة وفي القرن التاسع عشر ٤٠ سنة لا لأن الناس طالت اعمارهم بل لان الذين يموتون صغاراً قلوا كثيراً فزاد متوسط العمر

الا ان الزيادة التي شهدتها بعض البلدان في عدد سكانها في القرن الماضي بقلة الوفيات مع زيادة المواليد لم تستمر لا لان الوفيات زادت عما كانت عليه بل لان المواليد قلّت كثيراً فقد كان سكان الولايات المتحدة الاميركية يتضاعفون كل ٢٥ سنة فلو استمرت زيادتهم على هذه النسبة لبلغ عددهم (اي عدد المولودين في اميركا فقط غير المهاجرين اليها) ١٠٠ مليون نفس سنة ١٩٠٠ و ٨٠٠ مليون سنة ٢٠٠٠ و ١٢٨٠٠ مليون سنة ٢١٠٠ اي ثمانية اضعاف سكان المسكونة الآن فلا تعود الدنيا كلها تسعهم وحدهم ولكن زيادتهم لم تستمر على النسبة التي كانت جارية عليهم ولذلك بلغ عددهم ٤١ مليوناً فقط سنة ١٩٠٠ بدلاً من ١٠٠ مليون والذين زادوا على ذلك فمن المهاجرين . ولم يحدث هذا النقص بسبب الحروب والاوبئة والمجاعات بل بسبب قلة المواليد فبين سنة ١٧٩٠ و ١٨٠٠ كانت المهاجرة الى اميركا قليلة جداً ومع ذلك زاد عدد السكان ٣٥ في المئة ومن سنة ١٨١٠ الى ١٨٢٠ زادوا ٣٣ في المئة ومن سنة ١٨٣٠ الى ١٨٤٠ زادوا ٣٥ في المئة ومن سنة ١٨٥٠ الى ١٨٦٠ زادوا ٣٥ في المئة ثم قلت الزيادة بعد ذلك فبلغت ٣٠ في المئة من سنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠ و ٢٠ في المئة من سنة ١٨٩٠ الى ١٩٠٠

يتضح مما تقدم انه لو بقي متوسط المواليد في اوربا واميركا كما كان منذ مئة سنة لبلغ سكانهما الآن اكثر من الف مليون نفس لكنه لم يزد هذه الزيادة لا بسبب الحروب والاوبئة والمجاعات بل بسبب قلة المواليد . ولو زاد عددهم حتى بلغوا الف مليون نفس وتضاعفوا في الخمس والعشرين سنة التالية كما كانوا يتضاعفون في اوائل القرن الماضي لملأوا الارض كلها ونازعوا الشعوب الاخرى كل اسباب المعيشة والبقاء فقلة المواليد نجّت سائر الامم من شرهم . اي ان قلة المواليد قامت الآن مقام الحروب والاوبئة والمجاعات في العصور الغابرة ولولاها لأكل الناس بعضهم بعضاً في اقل من مئة سنة لان عددهم يصير ثمانية اضعاف ما هو الآن على الاقل

يظهر بادئ بدء ان الذين يقللون اولادهم يفيدون نوع الانسان لانهم يمنعون زيادته فوق ما تحتمله اسباب المعيشة فيفعلون ما كانت تفعله الحروب والاوبئة والمجاعات ولكن تلك الاسباب القسرية كانت تهلك الضعيف من امام القوي في الغالب فيبقى من الناس أصلحهم

البقاء بنوع عام واما تقليل النسل الحالي فلا يقدم عليه الضعفاء والفقراء بل الاقوياء الاغنياء فيأول الى انحطاط نوع الانسان لا الى ترقيته وان لم يحط النوع عما هو عليه فالمرجح انهُ لا يرتقي كما كان يرتقي لو استمرَّ التنازع الطبيعي وانقرض الضعيف من امام القوي. فاذا استمرت الامم تستعمل الوسائل الخيرية لحفظ نسل الضعفاء والسقماء ولم تستعمل وسيلة لحفظ نسل الاقوياء والاصحاء فمصير نوع الانسان الى الضعف والاضمحلال

اما الاقوياء الاصحاء وهم في الغالب من اهل اليسار والمتعلمين اي ليسوا من الفقراء ولا من الجاهلين فيقل نسلهم لانهم يرون تكاليف الحياة كثيرة شاقة فلا يتزوجون باكراً كما يتزوج الفقراء والجهلاء لكي لا يضطروا الى تربية الاولاد قبلما تتوفر لهم اسباب المعيشة. فبدلاً من ان يتزوج الشاب وعمرهُ ٢٥ سنة يتزوج وعمرهُ ٣٥ وبدلاً من ان تتزوج الفتاة وعمرها ١٨ سنة تتزوج وعمرها ٢٨ سنة فيضيع من عمرهِ وعمرها عشر سنوات وهي السنوات التي يولد فيها اكثر الاولاد. ثم اذا تزوجا حاولا تقليل اولادهما بكل الوسائل المعروفة لكي لا يثقل عليهما تربية عائلة كبيرة ولاسيما بعد ان زادت نفقات التعليم والمعيشة وجرى الوالدون على اعطاء الاموال لبناتهم والاَّ لم يقبل الشبان على التزوج بهنَّ. ولا تعلم المرأة هل تلد ابناً او ابنةً فيرى الوالدان المدبران اللذان ينظران الى المستقبل ان ولادة الاولاد مثل المضاربة قد تكون صفقة رابحة وقد تكون صفقة خاسرة والغالب انها خاسرة فيمتنعان عنها ما امكن ولم يكونا يستحلان ذلك في ما مضى لاعتقادهما انهُ محرَّم ديناً ولكن لما ضعفت سلطة الدين وسلطة رجال الدين لم يعد لهذا التحريم سلطة عليهما

اما الفقراء والجهلاء فلا يبالون بشيء من ذلك بل هم يستفيدون من اولادهم لانهم فلما يهتمون بتربيتهم ثم هم يستعينون بهم على العمل والكسب سواء كانوا من الفلاحين او من الصناع

يظهر مما تقدَّم ان قلة المواليد امرٌ لا بد منهُ اذا أُريد ان يطول زمن الانسان على هذه البسيطة والاَّ ملأها في قرن او قرنين واستنزف كل اسباب المعيشة منها وهذه القلة جارية الآن لكنها جارية على غير المراد فيقل نسل الذين يُفضَّل ان يكثر نسلهم ويكثر نسل الذين يُفضَّل ان يقل نسلهم

اما الذين يقل نسلهم الآن فيقوم دواعٍ عليهم بان يتغير نظرهم الى الحياة وتقل تكاليفها عليهم وهذا لا يحصل بالتشريع والتقنين بل بثورة ادبية يثيرها رجال الاقلام وفضلاء الاقلام على الاسراف والتأنق وكل ما يدعو الى زيادة النفقات والتكاليف سواء كان من قبل الافراد او من قبل الحكومات. فاذا قامت هذه الثورة الادبية ونجحت وانتصر انفاق الناس

وحكوماتهم على الحاجيات وبطل الانفاق على ما لا فائدة منهُ كالحلى والحلل والزينات والبهرجات والجنود والاساطيل صار عمل كل رجل كافياً لمعيشتهِ ومعيشة عشرة معهُ

واما الذين يزيد نسلهم الآن ولا فائدة من زيادتهِ اما لضعفهم واما لجهلهم واما لانهم عالة على غيرهم فالحنان البشري يقضي على المحسنين ان يهتموا بحفظهم وحفظ نسلهم فتراهم ينشئون لهم المستشفيات والملاجئ ويقاومون الاسباب التي كانت تقضي عليهم او تقلل نسلهم لولا مقاومتها. ولكن حفظ الصالح من نوع الانسان يقضي بغير ذلك ولا بدَّ من ان يتصادم هذان الفاعلان وعسى ان يكون الفوز لاصلحهما

ايضاح لغوي

من السنن المتبعة عند اهل اللغة في وضع الاسماء للمسميات الجديدة رعاية وجه من وجوه المناسبة كما يتضح ذلك لمن ينظر في المصطلحات العلمية. والوضع لغةً جعل اللفظ بازاء المعنى واصطلاحاً تخصيص شيء بشيء متى أُطلق او أُحسَّ الشيء الاوَّل فُهم منهُ الثاني. والاصطلاح عبارة عن اتفاق القوم على وضع الشيء وقيل هو اخراج الشيء عن المعنى اللغوي الى معنى آخر لبيان المراد منهُ. فاذا تُصورف اللفظ بمعنى انصرف اليهِ سواء كانت هناك ملابسة قويَّة او ضعيفة او لم تكن ملابسة بتَّة وذلك كوضعهم لفظة (النحو) للعلم الذي تُعرَف باصولهِ صحة التركيب واحوال اواخر المركبات فانت تدري من عند ذاتك ان ليس بين لفظة (النحو) والمعنى الذي أُخرجت اليهِ ملابسة اصلاً. وكذلك اصطلاحهم على تسمية العلم الذي يتوسَّل بهِ الى اثبات اصول الدين بالبراهين المنطقيَّة بـ (علم الكلام). والمعنى الاصطلاحي يتبادر اليهِ الذهن قبل المعنى اللغوي فمتى قلت العروض او النحو او علم الكلام مثلاً سبق الى الذهن المعنى الاصطلاحي الذي وُضعت لهُ كل كلمة من هذه الكلمات فيكون الوضع العُرفي قد غلب على الوضع اللغوي

واعلم انهُ كما يقع الترادف في الاوضاع اللغويَّة يقع ايضاً في الاوضاع العرفيَّة ومنشأ هذا الترادف اختلاف الاعتبارات فكما وُضع للاسد والسيف والجمل اسماء متعددة كذلك وضع اهل الاصطلاح لبعض المسميات اسمين من ذلك تسمية الصرفيين الفعل الذي ليس لهُ مفعول (لازماً) و (قاصراً)، وتسميتهم الصيغة التي يُحوَّل اليها الاسم للدلالة على الصغر او القلة او الضعف تحقيراً وتصغيراً واطلاقهم كلمة (النسبة) و (الاضافة) على الحاق آخر الاسم ياء

مشدَّدة للدلالة على الانتساب الى ما أُلحقت به فتقول باب التصغير او باب التحقير وكلاهما بمعنىً وتقول ايضاً باب (النسبة) او باب (الاضافة) وكلاهما بمعنىً فأيّاً ما استعملت فلا حرجَ عليك

ومن هذا القبيل اطلاق علماء الحساب (البَسْط) و (الصورة) على شيء واحد واطلاق (المقام) و(المخرج) على شيء واحد فالثلث مثلاً بسطهُ او صورتهُ واحد ومقامهُ او مخرجهُ ثلاثة ويرسم هكذا ⅓

ومن ثمَّ قالوا « لا مشاحة في الاصطلاح » والاَّ لوجب ان لغةً تنفي لغةً فالعربي وضع (الباب) لفرجة في الحائط يدخل منها الى البيت ويخرج والافرنجي وضع لها كلمة (porte) والانكليزي وضع لها كلمة (door) . وغير هؤلاء وضعوا لها غير هذه الالفاظ وهلمَّ جرًّا والحاصل ان اصطلاح بعض من وصفوا البلدان على تسمية ما تُصوَّر عليهِ الكرة الارضيَّة بـ (المصوَّر) وهو صيغة تصلح لان تكون اسم مفعول اومصدراً ميميًّا او اسم مكان او زمان منظورٌ فيهِ الى التصوير وبهذا الاعتبار أطلقوا على ذلك الشيء المثَّلة عليهِ الارض باقسامها لفظة (المصوَّر) . واما وُصَّاف البلاد من الافرنج فنظروا الى الشيء الذي تصوَّر عليهِ صورة الارض فاطلقوا عليهِ اسم الورقة وهي في لغتهم (كَرْتا) وجاء في المتأخرين من كتَّاب العرب من سمَّى ذلك خريطةً باعتبار انها حاوية لصور البلاد كما تحوي الخريطة ما يُلقَى فيها او باعتبار ان صور البلاد حالة فيها كما تحلّ الاشياء في الخريطة فاستعمل ما شئت من هذين فانت بالخيار

واما استعمال بعض كتَّابنا منذ عهد قريب المحيط والوسط في مكان المقام او الحال فاصطلاح عصري لا داعي اليهِ وخروج عن منهج اللغة لامقتضى لهُ على أنَّ المعنى الذي استعمل لهُ (المحيط) او (الوسط) ليس هو شيئاً جديداً لم تضع لهُ العرب لفظة تدلُّ عليهِ فاذا نظرت الى كلمة (محيط) وهي اسم فاعل من احاط بهِ اذا اكتنفهُ من كل جوانبهِ رأيت كلمة (المقام) او (الحال) ادلَّ منها على المقصود افلا ترى ان قول كتَّاب العربية المتقدمين « ان حال فلان تساعدهُ على التعلُّم » هي ادلُّ من قول بعض كتَّابنا المعاصرين « انَّ محيط فلان يساعدهُ على التعلُّم » او من قولهم « انَّ وسط فلان يساعدهُ » وقد استعمل بعضهم (البيئة) ومعناها المنزل والحالة وهي اكثر ملابسةً من المحيط والوسط هذا ما أراهُ ولكن من ابى الاَّ البقاء على هذا الاصطلاح الحديث فهو وما يحبّ

واما استعمال (رسخَ) بمعنى اتقان واذعن فلم اعثر عليهِ في كلام من يُوثق بهِ من اهل العربية ولم ينقلها نووي ثبت . هذا ما انتهى اليهِ اطلاعي فان كان هنالك من اطَّلع عليها في

كلام جاهليّ او مخضرم او اسلاميّ او مولَّد فليتفضَّل بذكر الموضع الذي عثر عليها فيهِ فاقابلهُ بالشكر واعترف لهُ بالفضل والجميل

هذا ما اقتضى ذكرهُ ما قصدت من نشر (الفصاحة وكتَّاب العصر) واما توسيع اللغة فقد عقدت لهُ فصلاً سأذكرهُ في مجلتكم الجليلة الشأن ان شاء الله

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

واضع علم النحو

لماذا سُمّي النحو نحواً وما علاقة هذا الاسم بالمسمّى وهل يُعقَل ان احداً يضع علماً ويسميهِ اسماً لا يدل عليهِ بوجهٍ من الوجوه ولا ملابسة لهُ بهِ . قال ابن سيده صاحب المحكم والمخصص في اللغة « أخذ النحو من قولهم انحاهُ اذا قصدهُ انما هو انحاء سمت كلام العرب في تصرُّفهِ من اعراب وغيرهِ كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والاضافة والنسب وغير ذلك ليلحق بهِ من ليس من اهل اللغة العربية باهلها في الفصاحة .. وهو في الاصل مصدر شائع اي نحوت نحواً كقولك قصدت قصداً ثم خص بهِ انحاء هذا القبيل من العلم » نقل ذلك الزبيدي في شرح القاموس ثم قال « قال شيخنا واستظهر هذا الوجه كثير من النحاة . وقيل هو من الجهة لانهُ جهة من العلوم وقيل لقول علي رضي الله تعالى عنهُ بعد ما علَّم ابا الاسود الاسم والفعل والحرف من العربية انحُ هذا النحو . وقيل غير ذلك مما هو في اوائل مصنفات النحو . وفي المحكم بلغنا ان ابا الاسود وضع وجوه العربية وقال للناس انحوا نحوهُ فسمي نحواً » . انتهى

وتوفي ابن سيده في اواسط القرن الخامس (سنة ٤٥٨) للهجرة وقد سبقهُ الى ذكر هذه التعاليل ابن النديم صاحب كتاب الفهرست في اواخر القرن الرابع فما ذكرهُ متأخر عن زمن وضعهِ مئتي سنة الى ثلثمئة سنة ولا غرابة فيهِ لان علماء العربية حاولوا تعليل كل شيء مثل علماء الطبيعة فما لم يجدوا لهُ علة معقولة تحلوا لهُ علة ولو غير معقولة

ولقد تكررت هذه التعاليل على سمعنا مراراً منذ اربعين سنة الى الآن ونحن لا نلتفت الى تحقيقها او تزييفها لاننا لم نشتغل بهذا الموضوع ولكن جاءتنا مقالة وجيزة من الاستاذ الشرتوني قبل كتابة هذه السطور موضوعها ايضاح لنوي قال فيها انهُ « اذا تصورف اللفظ بمعنى انصرف اليهِ سواء كان هناك ملابسات قوية او ضعيفة او لم تكن ملابسة بتة وذلك

كوضعهم لفظة النحو للعلم الذي تعرف باصوله صحة التركيب واحوال اواخر المركبات » . فلما قرأنا هذه العبارة ونحن نمثل المقالة للطبع خطرت على بالنا التعاليل التي قرأناها في صبانا لتسمية هذا العلم بالنحو وقلنا لا يعقل ان يكون القوم قد سموا علمًا باسم لا علاقة لهُ بهِ على الاطلاق والحال شرعنا نبحث عن اصل هذه الكلمة ولم يكن الاَّ دقائق قليلة حتى اهتدينا الى ما نظنهُ اصلها الحقيقي

قال ابن منظور صاحب لسان العرب في مادة نحا قال الازهري « ثبت عن اهل يونان في ما يذكر المترجمون العارفون بلسانهم وانتهم انهم يسمون علم الالفاظ والعناية بالبحث عنهُ نحواً و يقولون كان فلان من النحويين ولذلك سمي يوحنا الاسكندراني يحيى النحوي للذي كان حصل لهُ من المعرفة بلغة اليونانيين »

فما نقلهُ ابن منظور عن الازهري يدل على ان اصل هذه الكلمة يوناني وان لهُ علاقة باسم يوحنا الاسكندراني النحوي الذي يقال ان عمرو ابن العاص لقيهُ في الاسكندرية في زمن الفتح وكلمهُ في شأن مكتبتها كما هو مذكور في كتب التاريخ

وقد اشتهر في تاريخ مصر في زمن الفتح رجلان باسم يوحنا الاول يوحنا فيلبونُس او الفراماطيقي والثاني يوحنا النحوي او النحوي نسبة الى نحو او نحوا او نقو مدينة قرب منوف في مديرية المنوفية من اعمال القطر المصري . اما الاول فكان من الفلاسفة المشائين والمرجح انهُ مات قبل الفتح ولكن ابن العبري يقول انهُ بقي حيًّا الى زمن الفتح . واما الثاني فكان اسقفًا قبطيًّا ولهُ زمن الفتح والَّف تاريخًا جامعًا بالقبطية في اواخر القرن السابع للميلاد اي بعد الفتح بنحو خمسين سنة وقد ترجم تاريخهُ الى العربية ومنها الى الحبشيَّة ولا يوجد منهُ الآن الاَّ الترجمة الحبشيَّة . وكان مؤرخو العرب يعرفون هذا التاريخ كما سيجيء وقد نقلوا عنهُ كثيراً والظاهر انهُ التبس عليهم اسم يوحنا الفراماطيقي باسم يوحنا النحوي فظنوهما اسمين لمسمًّى واحد فاستنتجوا ان كلمة نحو مرادفة لكلمة غراماطيقي ومن ثم يفهم مراد ابن منظور في قولهِ « ان اليونانيين يسمون علم الالفاظ والعناية بالبحث عنهُ نحواً ولذلك سمي يوحنا الاسكندراني يحيى النحوي » اي يوحنا النحوي هذا . ومما يدلُّ على صحة استنتاجنا ما ذكرهُ صاحب الفهرست في ترجمة يوحنا النحوي او يحيى النحوي قال « كان يحيى تلميذ ساوارس وكان اسقفًا في بعض الكنائس بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية ثم رجع عمَّا يعتقدهُ النصارى في التثليث فاجتمعت الاساقفة وتلمذتهُ فغلبهم واستعطفتهُ وانسهُ وسألتهُ الرجوع عما هو عليهِ وترك اظهارهِ فاقام على ما كان عليهِ وابى ان يرجع فاسقطوهُ وعاش الى ان فتحت مصر

على يدي عمرو بن العاص فدخل اليهِ واكرمهُ ورأى لهُ موضعاً وفسر كتب ارسطاطاليس ... وذكر في المقالة الرابعة من تفسيرهِ لكتاب السماع الطبيعي في الكلام على الزمان مثالاً قال فيهِ مثل سنتنا هذه وهي سنة ثلث واربعين وثلثمائة لفلطيانوس القبطي فهذا يدل على ان بيننا وبين يحيى النحوي ثلثمائة سنة ونيف »

لكن يوحنا النحوي اي الغراماطيقي لم يكن اسقفاً ويظهر مما نقلهُ عنهُ صاحب كتاب الفهرست انهُ كان فيلسوفاً فقد قال في الكلام على القاطيغوریاس (اي المقولات) « فسن شرحهُ وفسرهُ فرفوريوس واسطفن الاسكندراني ويوحنا النحوي » ثم قال انهُ كان قبل الفتح بنحو ٦٠ سنة . وقد حقق اكثر الباحثين الآن انهُ مات قبل الفتح بثلاثين سنة او اكثر . ثم قال انهُ مدح ديسقوروديوس في كتابهِ « في التاريخ » واشار الى تاريخهِ غير مرة . ولكن يوحنا صاحب التاريخ هو اسقف نحو وكانت ولادتهُ في زمن الفتح كما تقدم فهو غير الاول

ويظهر لنا انهُ لما اخذ العرب يدونون كتب التاريخ وغيرها في القرن الثاني التبس عليهم اسم يوحنا الغراماطيقي باسم يوحنا النحوي او النحوي فجعلوها اسمين لمسمًى واحد وان كلمة نحو مرادفة لكلمة غراماطيق ولعلهم لم يعرفوا يوحنا الغراماطيقي بهذا الاسم اولاً بل عرفوهُ باسم الحريص كما ذكر المسعودي (وباليونانية فيلونس اي محب العمل) ثم عرفوا انهُ كان يشتغل بقواعد اللغة اليونانية بعد ان شاع بينهم اسم يوحنا النحوي اسقف نحو بسبب تاريخهِ فجعلوا ان كلمة نحو او نحو يراد بها عند اليونان الاشتغال بقواعد اللغة فاقتبسوها . وكان يسهل عليهم تسمية العلوم باسمائها اليونانية كما سموا علم الحساب بالارثماطيقي وعلم رسم الارض بالجغرافيا وابقوا اكثر المصطلحات العلمية على لفظها اليوناني فقالوا قاطيغوریاس (اي المقولات) وانالوطيقا اي تحليل القياس وسوفسطيقا اي المغالطة وريطوريقا اي الخطابة وبوطيقا اي الشعر الخ

اما ابدال كلمة يوحنا بكلمة يحيى فسببهُ ان كلمة يوحنا كانت تكتب بالحروف هكذا يحنا من غير نقط لان الكتابة العربية بقيت الى اواسط القرن الثالث من غير نقط كما يظهر من الرقوق القديمة التي كشفت حديثاً في خرائب القطر المصري فلما وضعت النقط للتمييز بين الحروف نقطت هذه الكلمة يجنا بالياء في الغالب بدلاً من ان تنقط بالنون وقد رأيناها في نسخ قديمة من الكتب الدينية المسيحية منقوطة يجنا وفي نسخ اقدم منها من غير نقط

وقياساً على ذلك كانت كلمة نحو تكتب من غير نقط ثم نقطت النون ولم تنقط الحاء او كانت الحاء تلفظ مرخمة كالخاء اما اليونان فكانوا يكتبونها بالكاف او بالقاف وهذا

شأنهم في كلمة فرعون نحو فان هيرودوتس اليوناني كتبها Nexos نقوس ومنيثو الكاهن المصري كتبها Nayda نحو . هذا من حيث تسمية العلم بعلم النحو

واول من وضع علم النحو او قواعد علم اللغة وتركيب الالفاظ في ما يُعلم اليونان والظاهر انهم وضعوها لكي يسهلوا تعلُّم لغتهم على الطلبة من الرومانيين . والمعروف ان ديونيسيوس تراكس الف غراماطيقاً في زمن بمبيوس قبل المسيح بنحو سبعين سنة فكان اساس كل الاجروميات التي أُلفت بعده . وقد حدَّد هذا العلم بانهُ معرفة لغة العلماء في اقسامها الستة اي علم اللفظ والشكل (او الاعراب) وعلم تفسير الكلام المجازي وعلم التعريف او التحديد وعلم الاشتقاق وعلم التصريف وعلم النقد وعلى هذا المبدإ أُلفت الاجروميات في رومية والاسكندرية ووصلت الى السريان فالعرب . ويظهر لنا ان كلمة اجرومية بالعربية هي نفس كلمة اغراما اليونانية او اغراماريا اللاتينية نعم ان الزبيدي قال في تاج العروس ان مؤلف الاجرومية هو ابن آجروم فنسبت اليهِ ولكن المأثور ان مؤلفها هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي ولا ذكر لاجروم في ترجمتهِ

ولما اعتنق العجم الاسلام وعُنوا بتعلُّم العربية اما تزلفاً الى خلفاء العرب وامرائهم واما حرصاً على لغة الدين الذي دانوا بهِ واما اشتغالاً بشيءٍ منهُ كسب لم اهتموا بجمع شواردها ووضع القواعد لها جارين مجرى اليونان والسريان فوضع سيبويه كتابهُ المشهور في اواخر القرن الثاني من الهجرة . والمطلع عليهِ يرى لاول وهلة انهُ هو والخليل ابن احمد الفراهيدي ويونس بن حبيب النحوي كانوا يشتغلون بجمع الشوارد ووضع القواعد وان اشتغالهم كان ابتدائياً غير مبني على اشتغال الناس قبلهم الأ في ما ندر هذا اذا استثنينا الكلمات الاصطلاحية كالفاعل والمفعول والنكرة والمعرفة والمنصرف وغير المنصرف الخ فان اكثر المصطلحات النحوية كان معروفاً حينئذٍ ولكن يصعب علينا أن نصدق انها وضعت وضعاً والمرجَّح عندنا انها ترجمت ترجمة كما فعل الاقدمون في ترجمة المصطلحات الطبية وكما يفعل المترجمون في هذا العصر في ترجمة المصطلحات الكيماوية . وهذا بحث جليل نود أن نتفرَّغ لهُ في فرصة أُخرى واذا كان كتاب سيبويه الذي وصل الينا هو نفس الكتاب الذي وضعهُ سيبويه ولم يُدخل فيهِ شيء او اذا كان المدخل فيهِ يساوي نصفهُ فالنصف الباقي يشهد لهُ بالتبريز على كل من عُني بجمع قواعد لغة من اللغات فالبيسيكا وفارس اللذين عنيا بجمع اللغة المصرية العامية لم يصلا الى نصف ما وصل اليهِ سيبويه مع كثرة وسائلهما بالنسبة الى وسائلهِ ومع وجود امثلة كثيرة امامهما يحتذيانها في وضع قواعد اللغة

وقد رأينا في كتاب الفهرست بعد كتابة ما تقدَّم ان صاحبهُ قرأ بخط ابي العباس ثعلب انهُ اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان واربعون انساناً منهم سيبويه . وولد ثعلب سنة ٢٠٠ للهجرة واخذ ينظر في العربية والشعر وعمرهُ اثنتاعشرة سنة فهو ثبت في ما يرويهِ عن سيبويه لقرب عهدهِ بهِ

وهاك مثالاً من كتاب سيبويه قال « سألت الخليل فقلت لهُ كيف تقول مررت باليعملِ منك من قولهِ مررت باعيمٍ منك فقال مررت باعيمٍ منك لان ذا موضع تنوين ألاَ ترى انك تقول مررت بخيرٍ منك وليس افعلُ منك بالثقل من افعلَ صفةً واما يونس فكان ينظر الى كل شيءٍ من هذا اذا كان معرفةً كيف حال نظيرهِ من غير المثل معرفةً فاذا كانَ لا ينصرف لم يصرف يقول هذا جواري قد جاء ومررت بجواريَ قبلُ . وقال الخليل هذا خطأ لو كان من شأنهم ان يقولوا هذا في موضع الجر لكانوا خلقاء ان يلزموهُ الرفع والجر اذ صار عندهم بمنزلة غير المثل في موضع الجر ولكانوا خلقاء ان ينصبوها في النكرة اذا كانت في موضع الجر فيقولوا مررت بجواريَ قبلُ لان ترك التنوين في ذا الاسم في المعرفة والنكرة على حال واحدة . ويقول يونس للمرأة تسمَّى بقاضٍ مررت بقاضيَ قبلُ ومررت باعيمي منك . فقال الخليل لو قالوا هذا لكانوا خلقاء ان يلزموها الجر والرفع كما قالوا حين اضطروا في الشعر فاجروهُ على الاصل قال الشاعر المذلي

أبيت على معاريَ واضحات بهنَّ ملوَّبٌ كدم العباطِ

وقال الفرزدق

فلو كان عبدالله مولى هجوتهُ ولكن عبد الله مولى مواليَ

وانشدني اعرابي من بني كليب لجرير

فيوماً يوافيني الهوى غير ماضيٍ ويوماً ترى منهنَّ غولاً تغوَّلُ

وخلاصة ما يتقدَّم اولاً ان اليونانيين وضعوا علم النحو (الغراماطيق) قبل الهجرة بنحو سبع مئة سنة فاقتبسهُ منهم الامم المجاورة لهم ولا بد من ان يكون عملهُ قد اتصل بالعرب بُعيد الفتح إما من السريان أو من الروم او من القبط فنسجوا هم او مواليهم على منوالهِ بالترجمة او بالوضع . وثانياً انهُ لا يكاد يعتقل ان يسمي العرب هذا العلم اسماً لا علاقة لهُ بهِ مطلقاً ويرجح لنا ما نقلهُ ابن منظور عن الازهري ان العرب سموا هذا العلم نحواً وهم يحسبون ان هذا هو اسمهُ باليونانية خطأ وقع في خلطهم بين يوحنا الغراماطيقي الفيلسوف المشائي ويوحنا النحوي او النحوي المؤرخ القبطي فان صح ترجيحنا هذا علم السبب الذي من اجلهِ سمي النحو نحواً

اللغة العربية والطب

(تابع ما قبلهُ)

(الانفجار) جاء في الجزء السادس من المخصص لابن سيده ص ٩٥ « طعنهُ فانفجر الدم اي خرج دفعاً » وفي محيط المحيط « وانفجر انفجر والماء فاض كثيراً » ولعلَّ هذه الكلمة تصلح لتعريب لفظة (Spurting of blood) اي خروج الدم دفعاً . ومثلها الشخب والانبجاس

(دم باحري وبحراني) في الجزء السادس من المخصص ص ٩٣ « دم باحري وبحراني خالص الحمرة بين دم الجوف » وهو في الانكليزية (Arterial blood) اي الدم الشرياني

(النجيع) في الجزء السادس من المخصص لابن سيده ص ٩٣ « النجيع ما كان الى السواد » وهو في الانكليزية (Venous blood) اي الدم الوريدي

(القَعس) في محيط المحيط « وقعس يقعس قعساً خرج صدرهُ ودخل ظهرهُ خلقة . وهو ضد الحدب » وهو في الانكليزية (Lordosis) اي انحناء العمود الفقري الى الامام

(الجُدَرَة والجدَر) في الجزء الخامس من المخصص ص ٩٥ « في ظهره جُدَر واحدتهُ جُدَرة وجدَر واحدته جدَرة وهو اثر الجرح من الضرب اذا ارتفع عن الجلد وتدعى الندب جدراً ولا تدعى الجدر ندباً وقد جدر ظهر الرجل جدراً » وذلك في الانكليزية (Cheloid) اي الكيلويد ويطلق على نمو النسيج الليفي نمواً عظيماً في اثر الجرح حتى تعلو عن سطح الجلد . ولقد رأيت نفس الكلمة مستعملة بنفس المعنى الذي اريدهُ في الجزء الاخير من المقتطف ولا ادري أهي شائعة الاستعمال ام هي من عندياتك المقتطف[1]

(أريكة الجرح) في الجزء الخامس من المخصص ص ٩٤ « ظهرت اريكة الجرح ذهبت غثيثتهُ وظهر اللحم صحيحاً أحمر ولم يعلهُ الجلد وليس بعد ذلك الا طوّ الجلد والجفوف » ولعلَّ اريكة الجرح هي ما يدعى بالانكليزية (Granulation tissue) اي الازرار اللحمية

(القرفة) في ص ٩٤ من الجزء الخامس من المخصص « ويقال للجرح اذا تقشر تقرف والقشرة القرفة » والكلمة تماثل بالانكليزية (Scab) اي القشرة . ومثلها الجلبة

(عداد) في ص ٨٨ من الجزء المذكور « به مرض عِداد وهو ان يدمهُ زماناً ثم

---

(١) (المقتطف) لا نعلمها شائعة وانما وضعناها لهذا الداء لان وصفها في كتب اللغة ينطبق عليهِ تماماً

يعاوده وقد عاده عداداً ومعادة » وهذه الكلمة تصلح لتعريب لفظة (Recurrent) في مثل (Recurrent appendicitis) اي التهاب الزائدة الدودية العدادي او المتكرر

(التبيغ) في محيط المحيط « باغ الدم يبيغ بيغاً ثار والرجل هلك. بيغ به تبييغاً انقطع به وبيغ به الامر على المجهول اختلط وتبيغ الدم هاج والبن كثر » وربما كان التبيغ ما يدعى بالانكليزية (Plethora) اي الامتلاء الدموي

(الخزب) في ص ٩٩ من الجزء الخامس من المخصص « خزب الجلد خزباً فهو خزب وتخزب ورم من غير ألم » ويمكن الاصطلاح على هذه الكلمة لتعريب (Œdema) اي الاوذيما او الارتشاح او الورم الرخو

الدكتور محمد عبد الحميد

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

﴿ الأفعى ﴾ (Vipera. E. Viper. F. Vipère) حية دقيقة العنق عريضة الرأس قصيرة الذنب خبيثة جداً تلد وتبيض . وهي اجناس وانواع كثيرة كلها سامة واكثر ما تكون في الرمال تندس فيها . وتسمى الافاعي عند علماء الحيوان (Viperidæ) ومن انواعها ذو الطقيتين وذات الاجراس وذو الزبيبتين والحنفش وسيذكر كل منها على حدة . وتسمى الافعى باللغة المصرية القديمة اف وافو وحف (بغية الطالبين) وهي افعى بالسريانية

وهاك بعض ما جاء عن الافاعي في كتب اللغة وغيرها . قال ابن سيده في المخصص « اما الافعى فحية عريضة على الارض . اذا مشت مشت مشية بثنيين او ثلاثة اثناء فانما تمشي باثنائها تلك . خشناء يجرش بعضها بعضاً والجرش الحك » . فهذه صفة الحية المعروفة بالافعى في السودان والصحراء الكبرى وبلاد العرب وتسمى عند علماء الحيوان (Echis carinatus) ذكر ذلك جماعة من علماء الحيوان الثقات وهي الافعى عند اطباء العرب واليونان واسمها باليونانية (Echidna) وهو ايضاً من اسماء الصورة المعروفة بالشجاع عند علماء الميثة على ان علماء الحيوان يطلقون هذا الاسم في ايامنا على حيوان آخر ليس من الافاعي . ثم قال ابن سيده « ورأسها عريض كأنه فلكة (اي رأس مغزل) ولها قرنان في رأسها (وهذه صفة الافعى القرناء وسيأتي ذكرها) . وبعض الحيات تطلب الناس فاما

الافعى لقبلة لا تطلب واذا طلبت لم تدرك وانما تعض اذا وطئ عليها او دفي منها والافعوان ذكر الافاعي من اخبثها » انتهى

وفي حياة الحيوان « الافعى حية رقشاء دقيقة العنق عريضة الرأس وربما كانت ذات قرنين » الى ان قال « وهو الشجاع الاسود يواثب الانسان وهو شر الحيات » والحقيقة ان الافعى لا تواثب الانسان والصواب ما قالهُ ابن سيده . اما الحية التي تواثب الانسان وتطلبهُ فهي الناشر وقد ذكرت

ويظهر ان الافعى في قانون ابن سينا هي المعروفة بالافعى في ايامنا (Echis) فانهُ سمّى الانواع الاخرى من الافاعي كالقرناء بالصم لكن الصم والافاعي واحد عند العرب والقرناء عندهم ضرب من الافاعي . قال الشاعر

وذات قرنين من الافاعي صمّاء لا تسمع صوت الداعي

وهي كذلك في كتب اللغة . وكان الترياق يصنع في ايام ابن سينا من الافعى التي ذكرها فقط ولم يذكر انهُ كان يصنع من القرناء والافاعي الاخرى على ان يوسبر البيسي وقد كان في مصر بين سنة ١٥٨١ وسنة ١٥٨٦ قال ان الاطباء في مصر كانوا يستحضرون الترياق من الافعى القرناء . وذكر هسلكوست انهم كانوا يصنعونهُ في اواسط القرن الثامن عشر من القصيرى (Cerastes vipera) وهي شبيهة بالقرناء لكن لا قرنين لها كما سيجيء

وللافعى اسماء كثيرة بالعربية منها الصماء سميت بذلك لاطراقها فظنوها صماء لا تسمع وهذه التسمية ليست خاصة بالعرب فقد ذكر اندرسن ان في فرس نوعاً من الافاعي يسميهِ اليونان هناك (Kophe) اي الأصم . ومنها الشيطان والابتر اي القصير الذنب قال في التاج « الابتر حية خبيثة وفي الدر النثير ان الابتر هو القصير الذنب من الحيات وقال النضر ابن شميل هو صنف ازرق مقطوع الذنب لا تنظر اليهِ حامل الا ألقت ما في بطنها وفي التهذيب الابتر من الحيات الذي يقال لهُ الشيطان قصير الذنب لا يراهُ احد الا فرّ منهُ » . ومنها الحربش والحرشة والرقشاء

﴿ ذو الطُفْيَتَيْن . الطُفْيَة ﴾ (Echis carinatus. E. Saw-viper)

هي الحية المعروفة بالافعى في ايامنا وقد مرّ ذكرها في باب الافعى . لبعض اصنافها خطان اسودان متعرجان على ظهرها . قال في تاج العروس « ذو الطفيتين حية خبيثة على ظهرها خطان اسودان كالطفيتين اي الخوصتين ومنهُ الحديث اقتلوا من الحيات ذا الطفيتين والابتر

قال الجوهري وربما قيل لهذه الحية الطفية على معنى ذات طفية والجمع الطفى » انتهى وقد فشت كثيراً بين اسماء الحيات السامة المعروفة في بلاد العرب فلم ارَ حية ينطبق عليها هذا الوصف الا هذه وقد ظننت اولاً ان ذا الطفيتين الحية المعروفة في مصر بام السيور لكن ام السيور ليست من ذوات السموم او سمها ضعيف جداً و يفهم من الحديث ان ذا الطفيتين من اخبث الحيات . وظن المرحوم الدكتور زرّل ان ذا الطفيتين الناشر الهندية المذكورة آنفاً (تنوير الاذهان ٣٢) لكن الناشر الهندية لا وجود لها في بلاد العرب وليست مخططة الظهر بل على عنقها ورأسها حلقتان سوداوان لذلك يسميها الافرنج (Serpent à lunettes) اي

ذو الطفيتين وهو ضرب من الافاعي

الحية ذات النظارة . وقال الاب انستاس الكرملي (مجلة المشرق ٨ : ٩٨٣) ان الطفية (Coluber aspis) وهو ضرب من الافاعي يسميه العلماء في هذه الايام (Vipera aspis) ولم ارَ ذكراً لوجوده في الشام او العراق او بلاد العرب ولم ارَ في وصفه في كتب الحيوان انهُ مخطط الظهر

على ان هذين الخطين الاسودين لا يريان دائماً في الطفية فقد تكون رقشاء منقطة بالسواد وربما اجتمعت النقط على جانبي ظهرها فكان منها هذان الخطان كما جاء في كثير من كتب الحيوان . قال الدكتور فرانز ورز في وصف افاعي السودان [1] ما ترجمتهُ فقد يكون

(1) Third Report of the Wellcome Research Laboratories at Khartoum, p. 185.

لهذه الافعى (Echis carinatus) على كل من جانبيها خط متعرج اسود اللون او ضارب الى السواد » وقال اندرسن في وصفها ما ترجمتهُ (زحافات مصر ٣٣٧) « ظهرها ضارب الى الحمرة او الصحمة وعليهِ خطوط مستعرضة بيضاء او الى الصفرة عددها من ٣٦ الى ٤٠ خطًّا والخطوط متباعدة في الوسط متصلة بعضها ببعض على الجانبين فيتكوّن بذلك خطٌ على كل جانب مؤلف من بقع سوداء ضاربة الى الحمرة » والصورة المرسومة في الصفحة السابقة منقولة عن مطوّل في الحيوان جاء فيهِ ان لبعض اصناف هذه الافعى خطًّا اسود متعرجًا على كل من جانبيها[1]

اما الابتر فيطلق على اكثر انواع الافاعي لانها قصيرة الذنب منها الحنش كما يرى في الرسم التالي

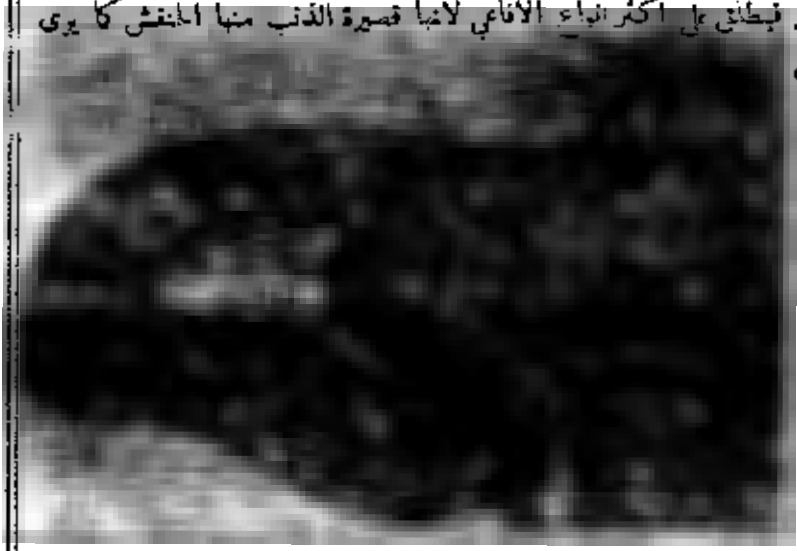

الحنش وهو ضرب من الافاعي ابتر الذنب

﴿ الحنش . الحنيش ﴾ (Vipera arietans E. Puff-adder. F. Vipère heurtante)

افعى عظيمة ضخمة الرأس دقيقة العنق رقشاء كدراء خبيثة جدًّا وهي من شر الافاعي اذا اغضبتها انتفخت لذلك يسميها الانكليز (Puff-adder) اي الافعى النافخة . والحنش كثير في السودان واليمن لكنهُ غير معروف في مصر والشام

(1) The Royal Natural History, Vol. V, 337.

وفي التاج « الحنفش والحنفيش الافعى او حية عظيمة ضخمة الرأس رقشاء كدراء اذا حويتها هكذا في بعض النسخ وفي بعضها اذا حزيتها (اي اغضبتها) انتفخ وريدها قالهُ شمر وعمّ كراع بد الحية او الحفاث بعينه »

وفي التهذيب للازهري « الحنفش حية عظيمة ضخمة الراس رقشاء حمراء كدراء اذا حزّتها انتفخ وريدها وقال ابن شميل هو الحفاث نفسهُ وقال ابو خيرة الحنفيش هي الافعى وجمعها حنافيش »

هذا ما ورد عن الحنفش في كتب اللغة وظننت لاوّل وهلة انها الناشر لكن وصفها لا ينطبق على الناشر فالناشر ليست ضخمة الرأس ولا رقشاء ولا هي من الافاعي

ذات القرنين - القرناء - المقرّنة - ذو الزبيتين

(Cerastes cornutus. E. Ceraste or horned viper. F. Céraste ou vipère cornue)

نوعٌ من الافاعي لها نتوآن صغيران في رأسها كانهما قرنان وهي من اخبث الحيات تندس في الرمال فاذا مرّ بها احد لدغتهُ . قال الشاعر

ذات قرنين طحون الضرس تنهس لو تمكنت من نهس

تدير عينًا كشهاب القبس

وقال المسيري في وصف الحيات « ومنها ذوات القرون وارسطو ينكر ذلك » . وقد رأيت شيئًا من هذا في كتاب النموت لارسطو قال « ان الحيات في طليطلة ومصر لها قرون لكن قرونها ليست قروناً حقيقية بل زوائد » . على ان هذه الافعى كانت معروفة عند اليونان واسمها بلغتهم (Kerastes) اي القرناء ومنهُ الاسم اللاتيني والانكليزي والفرنساوي

وجاء في تاج العروس « حية قرناء لها كلحمتين في رأسها كانهما قرنان واكثر ما يكون في الافاعي » . وقد ورد ذكر القرناء في القانون لابن سينا وسماها المقرّنة وعدّها من الصم لا من الافاعي كما ذكر آنفًا

وتعرف القرناء في مصر بالحية الحرّة والحرّ في كتب اللغة من اسماء الحية

ومن اسماء القرناء بالعربية ذو الزبيتين قال في التاج « الزبيتان نقطتان سوداوان فوق عيني الحية ومنهُ الحية ذو الزبيتين . وفي الحديث يجيء كنز احدكم يوم القيامة شجاعًا اقرع لهُ زبيتان قال ابو عبيد هو اوحش ما يكون من الحيات واخبثهُ . قال ابن الاثير الزبيبة

نكتة سوداء فوق عين الحية او هما نقطتان تكتنفان فاها وقيل هما زبدتان في شدقيها والزبيتان فوق عيني الكلب كزبتي البعير او لحمتان في الرأس كالقرنين وقيل نابان يخرجان من الفم وقيل غير ذلك واوردهُ شيخنا في الحية »

وتزعم العامة في الشام ان الحية القرناء تكون عظيمة جدًّا ومتى بلغت الف سنة من العمر نبت لها قرنان ولا شيءَ من الصحة في ذلك بل القرناء افعى قصيرة جدًّا لا تبلغ هذا العمر او ما يقاربهُ

﴿ الحارية · ابن قترة · القصرى · القصيرى ﴾ (Cerastes vipera)

نوع من الافاعي شبيهة جدًّا بالافعى القرناء لكننا اقصر منها ولا قرنان لها وتسمَّى في مصر الحية القرعاء · والاقرع من الحيات في كتب اللغة « المتمعط شعر رأسهِ لكثرة سمّهِ »

قال ابن سينا في وصف الحيات المقرنة ما نصهُ « ومنها جنس يسمى القصيرة وهي بسبب ان قرنها اقصر او قد سقط قرنها وهي ايضاً قصار صغار » · والقصرى والقصيرى في كتب اللغة واحد واظنها هذه الافعى التي ليس لها قرنان وهي اقصر كثيراً من الافعى القرناء فقد ذكر اقدرسن مقاييس ١٧ منها فكان اقصرها ٢٢٥ ملليمتراً واطولها ٣٤٠ ملليمتراً اي نحو ثلث متر وذكر مقاييس ٢١ افعى قرناء اقصرها ٣٠٠ ملليمتر واطولها ٧٣٥ ملليمتراً

ومن اسماء هذه الحية الحارية قال الدميري « الحارية نوعٌ منها (اي الافعى) وهي التي قال فيها النابغة الذبياني

حاريةٌ قد صغرت من الكبر مهروءة الشدقين حولاء النظر »

وفي التاج « الحارية الافعى التي كبرت ونقص جسمها ولم يبقَ الاَّ رأسها ونفسها وسمها كذا في المحكم ٠٠٠٠ وذلك اخبث ما يكون يقال رماهُ الله بافعى حارية قال ابن سيده والذكر حارٍ قال

او حاريًا من القتيرات الاول ابتر قيد الشبر طولاً او اقل »

ومن اسمائها ابن قترة وهو في المخصص « حية اغبر اللون صغير ارقط يطوى ثم ينفرد نحو الذراع وقيل لابن مهدية ما ابن قترة فقال ذكر الافعى وطولهُ نحو الشبر »

الدكتور
امين المعلوف

عالم الاحياء

لم يكد مقتطف دسمبر الماضي ينتشر حتى كتب جماعة من علماء المسيحيين والمسلمين يشكروننا على المقالة التي موضوعها « آياته في خلقه » . فقد نقلها السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ونقل ايضاً ما ذكرناه بعدها تعليقاً على رسالة لاحد الاشتراكيين وقال انهُ فعل ذلك تذكيراً للعالم وعبرةً للمقلدين في الكفر الذين يقولون لو كان اصل الدين حقاً لما انكر وجود الله تعالى العلماء العارفون بنظام الكائنات »

وكتب الينا رجل من ايمة الدين في العراق يقول « ان مقالة (آياته في خلقه) من ابدع وابلغ ما كتب في موضوع وجود الله وقد احدثت دوياً عظيماً في العراق واندية الادباء وطالعها كثيرون بل فضلاء لا يعدون لما فيها من محكم البراهين وسديد الآراء ورصين التعبير عسى المقتطف ان يتحفنا بما هو من بابها شيئاً كثيراً لان الدين مما تحتاج اليهِ النفس و يطمئن اليهِ الخاطر ويأتي بالاصلاح ظاهراً و باطناً »

والظاهر ان بعض رجال الدين يزعم اننا من المعطلين او الملحدين لاننا لا نكثر من نشر المقالات الدينية او لاننا لا نبدأ كل مقالاتنا بالبسملة والحمدلة ولا نختمها بقولنا والله اعلم او وفوق كل ذي علم عليم او نحو ذلك من العبارات التي صقلتها الالسن وقلما يخطها قلم وصاحبهُ شاعر بمعناها

فلو كنا من البوذيين نؤلهُ بوذة ونمجدهُ في كل مقالة تكتبها وتذكر كل اله سواه أكنا نحسب عند اولئك الفضلاء من المتدينين المتعبدين لا من الملحدين المعطلين . ولماذا يُطلب ممن يكتب في الصرف والنحو والحساب والجغرافيا والمنطق والكيمياء والحيوان والنبات ونحو ذلك من المواضيع ان يمزج المباحث العلمية بالمباحث الدينية او يتوكأ على عبارات دينية تقال غالباً جرياً على العادة من غير ان يقصد معناها بل اننا لا نرى ارتباطاً التزامياً بين التدين الحقيقي ومعرفة اصول الدين او المجاهرة بها فقد يكون الانسان من اعلم الناس باصول دينهِ وهو مع ذلك فاسد السيرة والسريرة لا تأتمنهُ على شيء وقد يكون غاية في الصدق والامانة وكرم الاخلاق وهو يجهل كل اصول الدين او لا يتظاهر بمعرفة شيء منها

ومع ذلك فما قالهُ الفاضل العراقي حقيقة نعتقدها ونجاهر بها وهو « ان الدين مما تحتاج اليهِ النفس و يطمئن اليهِ الخاطر و يأتي بالاصلاح ظاهراً و باطناً » . واقامة الادلة على وجود الخالق ونفع التدين من المباحث الفلسفية والاجتماعية التي يُعنى بها المقتطف كما يعنى بنشرها

من المباحث المفيدة ولذلك نتوخاها مرة بعد اخرى كلما حدث ما يلفتنا اليها ولكننا لا نكثر منها لاننا قلما نرى احداً ينكر وجود الخالق او يجحد فائدة الدين فيكون اثباتنا لهما بالادلة من باب تحصيل الحاصل ولكن اذا كتب احد منكراً فاننا لا نتأخر عن اقامة ادلّة الاثبات كما حدث في دسمبر الماضي

ومن غريب الاتفاق اننا لما كنا نكتب المقالة التي موضوعها «آياتهُ في خلقهِ» كان شيخ علماء الطبيعة في هذا العصر وهو الدكتور الفرد ولس شريك دارون في مذهب النشوء يطبع كتاباً في موضوع يماثل هذا الموضوع سماهُ عالم الاحياء فقد قرأنا في الجزء الاخير من مجلة المجلاّت الانكليزية الذي وصلنا في اواخر يناير كلاماً عن هذا الكتاب للمستر ستد محرر تلك المجلّة وها نحن موردون خلاصتهُ الى ان تصلنا نسخة من الكتاب نفسهِ

قال المستر ستد «لو قلت لرجال الدين منذ اربعين سنة ان شريك دارون في اكتشاف ناموس النشوء يؤلف كتاباً يقيم فيهِ اقطع الادلة واصرحها على الوهية الخالق وازليتهِ وعنايتهِ التامة بمخلوقاتهِ لمزأوا بك وقالوا هل يخرج من الناصرة شيءٌ صالح . ولكن خرج المسيح من الناصرة . وصدر من عقل ولس كتاب «عالم الحياة» وما من كتاب ديني ادلةً اقطع من ادلة هذا الكتاب فهو وحي يرحب بهِ نوع الانسان اعظم ترحيب . فقد ظنَّ كثيرون من الذين اعتنقوا مذهب النشوء ان الانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح نفيا الوحي واثبتا التعطيل واقنعا الناس بان الدنيا شرٌّ من جهنم لانهم يعذبون فيها صالحهم وطالحهم على حدٍّ سوى واما جهنم فلا يعذَّب فيها الاّ الاشرار . فقد قال هكسلي اننا لو كنا نسمع كل الاصوات نسمعنا من انين المخلوقات ما لا يقاس بهِ انين المعذبين الذي سمعهُ دنتي في جهنم وكأنَّ المخلوقات كلها تنفي بلسان واحد قول من يقول ان الخالق برٌّ رحيم فاما انهُ غير موجود او انهُ خلق العالم داراً للعذاب والشقاء»

هذه خلاصة اقوال العلماء الطبيعيين في القرن التاسع عشر على ما قالهُ ستد اما نحن فلم نرَ انهم ذهبوا هذا المذهب او قالوا هذا القول . نعم انهم لم ينكروا وجود الالم وقد كان دارون يشير اليهِ ولا يرى سبيلاً للتوفيق بينهُ وبين رأفة الخالق ولكن كثيرون منهم صرَّحوا بان الحيوانات ولاسيما الدنيا منها قلَّ تألم او لا تألم مطلقاً وقد نشرنا نحن مقالة في هذا الموضوع في مقتطف نوفمبر سنة ١٨٨٩ اي منذ اكثر من احدى وعشرين سنة قلنا فيها ما نصهُ

هل يتألم الحيوان كما يتألم الانسان مسألة يسألها الصغار ويرتاب في حلها الكبار . فاننا كل يوم وكل ساعة ندوس الحشرات من النمل والدود وما اشبه فتنكسّر عظامها وتتقطع اوصالها

وتمزق ابدانها ونحن غافلون وعن آلامها لاهون . ونصب الشراك للطيور ورميها بالبنادق فيكسر الخردق (الرش) اجنحتها ويمزق ابدانها ونحن نتهلل بذلك كأنهُ من اطيب المسرات . وقلي الثباك للاسماك ورفعها من الماء الى الهواء فتموت اختناقاً وان لم تمت سريعاً جلدنا بها الصخر او القيناها في النار او طرحناها في الزيت الغالي ونحن لا ننظر الاَّ الى لذة الصيد واكل السمك الطري . فهل نقول كما نقول طائفة من حامية الحيوان فوتل الانسان ما اشرسهُ . ولكنَّ طوائف الحيوان كلها تجري هذا المجرى فالباشق يخطف العصفور ويمزق بدنهُ تمزيقاً قبلما تزهق روحهُ . والعصفور يلتقط في نهارهِ مئات من الذباب والديدان ويمزق ابدانها ليتغذى بها . والاسد يفترس الثور وينهش لحمهُ رويداً رويداً الى ان تفارقهُ الحياة . والثور يأكل العشب ولا يعفو عمَّا عليهِ من الديدان والحشرات . والسمك تأكل كبارهُ صغارهُ فلا ينجو من المليون واحد . والخليقة كلها يقتات بعضها ببعض واذا كانت تتألم كما يتألم الانسان فقد خلقها الله سبحانهُ للوجع والالم تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً . وان الحكيم ليرى في حكمة الله وجودهِ دليلاً على وجوب نفي الالم عن الحيوانات ولاسيما الدنيا منها ولكننا لا نطرق هذا الموضوع من باب ديني نظري بل من باب علمي عملي ولذلك نقول

اثبتنا في الجزء الماضي في فقرة صغيرة بين الاخبار ان الزنوج لا يتألمون كما يتألم البيض وان ذلك معروف بالتواتر ومثبت بالامتحان اذ قد ثبت ان شعور اعصابهم اقل من شعور اعصاب البيض . وكل يوم نرى دليلاً جديداً على ان الناس يتفاوتون في شعورهم بالالم فجميع الاطباء الذين سألناهم في هذا الموضوع متفقون على ان الفلاَّح اقل شعوراً بالالم تحت العمليات الجراحية من التاجر وابن المدينة . وبالامس كنا نفكر في هذا الموضوع واذا بالخادمة تناقل عن آلة قاطعة فقطعت خنصرهُ فاتانا به يريناه اياهُ وظاهر الامر انها تألمت من رؤيتهِ اكثر مما تألم هو من قطعهِ

وقد قسم الدكتور كلياد الناس الى قسمين اصحاب البنية العصبية واصحاب البنية العضلية فمن القسم الاول العلماء ورجال العقول والاقلام ومن القسم الثاني العملة والفلاَّحون . وليس بين هذين القسمين حاجز حصين بل هما ممتزجان لا يعلم الفاصل بينهما ولكن الطرفين البعيدين منهما لا يشتبه احدهما بالآخر فترى في المدينة الواحدة رجلاً يحتمل اشد العمليات الجراحية غير مظهر شيئاً من التألم وآخر لا يحتمل اخفها ما لم تزهق روحهُ من شدَّة الألم . وكم من مرَّة يتألم الواحد من حذاء ضيق المنَّا لا يطاق فاين ذلك مما رواهُ مكاتب جريدة البكتاتر عن اهالي زيلندا الجديدة وهو انهُ حينما أُدخلت الاحذية الضيقة الى جزيرتهم ورأوا ان اقدامهم

لا تدخل فيها كانوا يقطعون اصبعاً او اصبعين من القدم لكي يسهل دخولها في الحذاء

والانسان الواحد قد تمرّ عليهِ ساعات يتألم فيها عمّا لا يتألم منهُ في وقت آخر فاذا انشغل بالهُ بمسئلة معضلة او احتقن دماغهُ لمرض او لسبب آخر فقد يتألم من صوت وقع الخطى كما يتألم من وقع السهام . وقد تمرّ عليهِ ساعات أخرى يفارقهُ فيها الألم مع توتُّر أعصابهِ فينحر الفخاراً كأنهُ يأكل المآكل الطيبة ويتقلّى جسمهُ على نار الاضطهاد وهو يسبّح ويرنم

فان كان البشر متفاوتين في الشعور بالالم وهم من جبلة واحدة ودم واحد وان كان الانسان الواحد يختلف شعورهُ بالالم باختلاف الاحوال فعلى مَ لا يكون البون شاسعاً بين الانسان وبقية انواع الحيوان

وبعدُ فان مركز الالم في الدماغ والاعصابُ تنقل التأثير الذي يحدث في البدن اليهِ . فاذا انقطعت الاعصاب الموصلة بين يدي ودماغي ومسكت النار بيدي لم اشعر بشيءٍ من الالم لان تأثير النار الذي نسميهِ المَّا لا يصل الى الدماغ . وكذا اذا اصابت الحبل الشوكيَّ آفة فتعطّل فعلهُ لم نعد نشعر بألم يقع في الاعضاء التي اعصابها من الجزء المتعطّل وتبقى تلك الاعضاء حيَّة مثل بقية اعضاء البدن . ثم ان مركز الشعور غير شامل لجميع الدماغ بل منحصر في بقعة منهُ لانهُ قد يحدث كثيراً ان ينزع جانب كبير من الدماغ في العمليات الجراحية ولا يرافق ذلك شيءٌ من الألم . وقد تتولّد في الدماغ خرّاجة كبيرة فلا يشعر بها وهي لو تولّدت في عضو آخر من اعضائهِ لاحرمتهُ لذيذ النوم بألمها الشديد . وكل ذلك دليل على ان عدم وجود مركز الألم في الحيوانات الدنيا ليس بالامر المستحيل ولو كان بناء اعصابها مثل بناء اعصاب الانسان بل لا يبعد ان يكون الألم قوة ارتقت في الانسان ولم تزل ضعيفة جدًّا في بقية انواع الحيوان ولم ترتقِ ارتقاءه يذكر الاَّ في ما ساكنهُ منها كالكلب والفرس

واوّلُ ما يُعترض بهِ على من ينفي تألُّم الحيوان صراخ الحيوانات اذا اصابها ما نظن انهُ يؤلمها فالكلب اذا رميتهُ بحجر فقد يصرخ صراخاً تشقق لهُ الاكباد وكذا اذا نشبت رجلهُ في فخ ولكنك اذا امعنت النظر رأيت ان الكلاب لا تصرخ كلها على حدٍّ سوى بل منها ما لا يصرخ ابداً والذي يصرخ منها قد يصرخ ولو لم يصبهُ الحجر بل قد يصرخ من مجرَّد رفعك الحجر بيدك . واذا نشبت رجلهُ في فخ فقد لا يصرخ ما لم يرَ احداً مقبلاً نحوهُ فاذا ولّيت منهُ من حيث لا يراك لم يصرخ فلا بدَّ من انهُ صرخ في الحالين من الخوف لا من الألم وحدهُ . وهذا شأن الارانب والضفادع وغيرها من الحيوانات التي تصوت فانها تصرخ من الخوف اكثر مما تصرخ من الألم . أتبع الضفدع بثعبان فانها تصرخ صراخ الالم ولكن اقطع

ساقها فقلما تسمع منها صوتاً

والالم يمنع من عمل بعض الاعمال فاذا رأيت رجلاً تُقطع يدهُ وهو يضحك ويمزح حكمت للحال انهُ غير متألم من قطع يده وهذا شأن كثير من الحيوانات فالكلب تكسر رجلهُ فيحملها ويقف امامك يبصبص بذنبهِ بعد ان تزول سورة الخوف كأنهُ لم يصبهُ شيء · والفرس تكسر يدهُ فيمضي قائماً على الثلاث ويرعى العشب كعادتهِ · والثعلب تشب رجلهُ في الفخ فيقطعها بانيابهِ كأنها حبل يربطهُ بالفخ · والجرذ يجوع في المصيدة فيأكل ذنبهُ · هذا في ذوات الفقرات وهي اقرب الحيوانات الى الانسان واما الحيوانات التي لاتقدر ما تشعر بهِ بالالم ليس شيئاً على ما يظهر · فالدودة تقطع منها نصفها فلا تموت بل يخرج جسمها ويطول كما كان اولاً وقد ينمو الجزء المقطوع ايضاً ويتولد لهُ راس فتصير الدودة الواحدة دودتين · والزيلاء الطويلة الارجل تمسكها بارجلها فتتركها يدك وتظل على حالها تصيد الذباب وتنسج البيوت الى ان ينبت لها ارجل أخرى كأنها اغصان الشجر قطعت فانبتت غيرها مكانها والسرطان يخاف فيبري رجليهِ كأنها فضلة زائدة · والجرادة تدوس بطنها وهي تأكل العشب فيبقى رأسها يأكل كأنهُ لا يشعر بما حدث · والزنبور يقطع من وسطهِ ثم يدفن رأسهُ من العسل فيأكل منهُ على جاري عادتهِ · والفراش يتهافت على السراج فيحترق اجنحتهُ مرة بعد أخرى وهو لايبالي الى ان يحترق كلهُ او يقع غير قادر على الطيران · وكيفما التفتنا نرى الادلة متوفرة على ان الحيوانات ولاسيما الدنيا منها لا تتألم مما يتألم منهُ الانسان · انتهى

الآن الدكتور ولس لم يكتفِ بنفي الالم عن الحيوانات الدنيا بل قال انها تراح الى ما نحسبهُ موجباً للالم الشديد فان الحيوان الذي يولد لكي يؤكل يجب ان لا يشعر بالم وهو يؤكل بل بلذة لانهُ لو شعر بالم لوقى نفسهُ اذ تولد فيهِ قوى طبيعية كافية لوقايتهِ فاذا شرع حيوان يأكل حيواناً آخر للحيوان المأكول يشعر بالضياء اولاً ثم يفقد شعورهُ ويعتريهِ سبات كسبات النائم وهكذا ينقضي امرهُ

وبعد ان شرح كيفية وجود الاحياء ونشوءها بعضها من بعض قال ان وجود علم الاحياء يستلزم وجود قوة مهيئة مرشدة مدبرة فيستلزم اولاً وجود قوة خالقة اوجدت المادة على اسلوب يجعل حصول هذه التنوعات فيها من الممكنات · وثانياً وجود عقل مرشد لانهُ لابدَّ من الارشاد في كل درجة من درجات النشوء · وثالثاً لا بدَّ لهذه القوة الخالقة من غاية ترمي اليها في ما خلقتهُ ودبرتهُ في هذا الكون الوسيع مدة كل العصور الجيولوجية الغابرة والحاضرة · وعندي ان هذه الغاية التي قصدتها القوة الخالقة هي الانسان خلاصة المخلوقات وبذلك يفسَّر

كثير من غرائب الخلق والنشوء. والانسان هو المخلوق الوحيد الذي يفهم شيئاً من نواميس الطبيعة ويستقصي أفعالها ويدرك قيمة القوى التي فيها ويستنتج منها وجود العقل المتسلط عليها كعلة لازمة لوجودها

وذهب في الفصول الاخيرة من كتابه الى ان الخالق ليس مضطرًّا ان يعنى بنفسه بكل مخلوقاته لكنهُ ابدع اعوانًا لهُ يعتنون بها وهم الملائكة فقد قال ان العقل المدبر الذي يدير عالم الاحياء لا يلزم ان يكون غير محدود في شيء من صفاته اي لا يلزم ان يوصف بالاوصاف التي نصف بها الله. فاذا لزمنا ان نستنتج ان ما بيننا وبين الله ليس فراغًا خاليًا من كل شيء بل هو مشتمل بمخلوقات متدرجة في ارتقائها وتصعدها على حسب الكون فقد يجعل الله بعض الملائكة العليا قادرة على ايجاد الاثير بكل القوى الكامنة فيه اللازمة لتوليد ما تولَّد منهُ ويجعل الملائكة التي تحتها درجةً قادرة على توليد العناصر المختلفة من ذلك الاثير حتى تتمكن هذه القوى المادة من جذب وحرارة وكهربائية وتكوّن منها السدام والشموس التي تتألف منها اجرام السماء. ولا يتعذَّر علينا ان نتصور ان طغمات الملائكة التي الف سنة في عينيها مثل يوم تراقب هذه الشموس والكواكب الى ان يصل جرم منها في حجمهِ وبنائهِ وما يحيط بهِ من الهواء والماء وبعده من مصدر الحرارة بحيث تصير احوالهُ الجوية والطبيعية ثابتة تبقى على حالة واحدة تقريباً ملايين من السنين ويصير صالحًا لسكن الاحياء من الاميبا اوناها الى الانسان اعلاها ويبقى ثبوتها ملايين اخرى من السنين كافية لارتقاء هذه الاحياء . . . . . ويظهر لي ان فرض وجود الملائكة وتدبيرها للموجودات بقوة خالقها اسهل تصوراً واقرب الى التصديق من الفرض ان الخالق خلق الموجودات كلها وهو نفسهُ يعتني بكل فرد منها وكل دقيقة من دقائق جسمهِ ويدبر كل امورها بنفسهِ. والفرض الاول لا ينفي اعتناء الخالق بمخلوقاتهِ ولكنهُ يجعل هذا الاعتناء بواسطة الملائكة المخلوقة حسب درجاتها ودرجاتهِ. انتهى

هذا وولس من اكبر العلماء الطبيعيين فادلتهُ على وجود الخالق وعلى اعتنائهِ بمخلوقاتهِ بواسطة ارواح خلقها لذلك مما يرتاح اليهِ العقل وتطمئن لهُ النفس. وقد كان يقول ان ناموس النشوء كافٍ لتوليد كل الاحياء ما عدا الانسان اي ان انواع الاحياء كلها من نبات وحيوان تفرعت بعضها من بعض بواسطة القوى الطبيعية وبموجب نواميس الارتقاء التي اكتشفها هو وداروين ما عدا الانسان فانهُ وُجد مباشرة اما الآن فيظهر من الملخص المشار اليهِ آنفًا انهُ حسب نواميس النشوء شاملة للانسان مع غيره من انواع الحيوان ولكنهُ جعل ادارتها كلها في يد ارواح مخلوقة لذلك

الحرب والقتال

من خطبة الاستاذ داود ستارجوردان الاميركي القاها بالالمانية في مدينة برلين في ٧ اغسطس الماضي

مرادي الحث على السلم بالشكوى من الحرب وموضوعي كلام صفوقليس[1] الذي قال « ان الحرب تهلك الاخيار لا الاشرار » . وبحثي فيه بيولوجي[2] وصادح الكلام على منفعة القوانين والشرائع والتحكيم في منع الحروب للذين هم اطول مني باعاً في هذه المواضيع وادع ايضاً الكلام على علاقة الحرب بالدين والاجتماع واترك وصف ويلاتها وما تبقيه الذين ياظون بنارها من الالم الدائم والحزن المقيم . ولا التفت الى نفقاتها ولو كانت عبئاً ثقيلاً على ظهور الصناع والعمال ولا الى معداتها التي يحمل نفقتها الناس كل سنة في ميزانيات حكوماتهم لانها وان هذه النفقات است من مقومات الامم ولوازمها . ولا التفت الى سلطة المرابين الذين يقرضون الدول الاموال وسلطتهم تزيد يوماً فيوماً حتى كاد العالم يصير ملكاً لهم وطوعاً لامرهم وهم الذين يثيرون الحروب وهم الذين يخمدون نارها

مرادي محصور في علاقة الحرب بالرجال وتأثيرها في نوع الانسان

قال بنيامين فرنكلين[3] « ان تنظيم الجنود وابقاءها للحرب نتيجة لابدَّ من ان تدعو اخيراً الى ابطال الحروب لان الجنود المنظمة تقلل عدد السكان وتضعف نوع الانسان باخذها زهرة شبان الامة اقوى رجالها وانشطهم ومنعهم من الزواج واخلاف النسل »

وما يصدق على الجنود المنظمة يصدق بنوع اخص على الجنود الذين يحاربون ويقتلون فان الامة تفتقدهم وتفقد نسلهم الى الابد . وخسائر الحروب هي ما نوفيه بعد الحروب

لقد تقدَّم علم البيولوجيا اي علم الاحياء تقدُّماً كبيراً في الثلاثين سنة الاخيرة ومن مواضيعه التي حققها العلماء علاقة الوراثة بارتقاء نوع الانسان وانواع الحيوان . فقد عُرف منها ان جودة النسل تتوقف على جودة الاصل ومستقبل الامم يتوقف على الذين يعيشون من ابنائها ويخلفون نسلاً لا على الذين يقتلون او يذهبون بلا عقب . واصلاح النوع يتوقف على اختيار الاصل الصالح لا على اخلاف النسل الصالح والضد بالضد هذا الحكم صدق على الناس في العصور الغابرة وهو يصدق عليهم الآن وفي مستقبل الازمان وهو الناموس الذي نجري عليه في

(١) صفوقليس شاعر يوناني توفي قبل المسيح باربعمئة وخمس سنوات (٢) نسبة الى البيولوجيا اي علم الاحياء (٣) عالم اميركي مشهور

تأصيل المواشي واصلاح انواعها باختيار اصلحها لاخلاف النسل . فالصفات التي يمتاز بها الجندي الباسل وهي القوة والخفة والشجاعة والحزم والاقدام وحب الوطن هي الصفات التي تفقدها الامة بجعلها رجالها جنوداً ومنعهم من التزوج . وقد زعم البعض ان الحروب تزيد الامة نشاطاً واقداماً ولكن هذا الزعم فاسد لان الامة لا تقوم بالذين يصلحون للتجند فيتجندون ويُقتَلون بل بالذين لا يصلحون له فيعيشون ويتوالدون

كان في جبال ايطاليا في قديم الزمان قوم اشداء بواسل اباة الضيم ذوو عزم وحزم لا يعزّ عليهم مطلب

قوم اذا الشرُّ ابدى ناجذَيْه لهم طاروا اليه زرافاتٍ ووحدانا

كانوا يعيشون بحرث الارض ولكنهم يحبون انفسهم اعلاً لكل عمل . اصلٌ طيب وفرع طيب يريك الذي كان يسودهم — استغفرالله لم يكن هم ملك لان الاحرار لا يملكون قيادهم لاحد بل كلٌّ منهم ملك على نفسه وكلهم خاضع لسلطان الحرية — الحرية باعوانها الاربعة التي تنشئ الامم اي التنوع الذي لا يطمع عمله والوراثة التي تحتفظ بما يشوّع والفصل الذي منع امتزاج اولئك الاقوام بغيرهم والانتخاب الذي اختار الاصلح من الرجال والنساء وطرح النفاية والنفاضة . فقام الرجال على اعمالهم يحرثون الارض ويبنون المدن وينزحون المستنقعات ويسنّون الشرائع والقوانين وولد لهم اولاد مثلهم همّة ونشاطاً وروح الحرية تسومهم وتتولى قيادهم . وتلك الايام الغابرة حينما كان الرومان رجالاً وكانت رومية صغيرة لا مجد لها ولا غنى ولا مستعمرات ولا عبيد في ايام عظمة رومية والرومان

ثم اندحرت روح الحرية امام روح التسلّط . فان الرومانيين شعروا بما لهم من القوة فارادوا استعمال قوتهم فاتحدوا واعتدوا وغزوا ونهبوا وافتخروا وتعظموا اي خاضوا غمار الحروب من اولها الى ان عقد لواء النصر للغالب فيها فضاعت حرية العامة في غطرسة الخاصة وضاع الاستقلال في بحر المطامع وصار لحب الوطن معنىً غير معناه الحقيقي وثقل من البيت والمنزل الى ساحة الوغى

ولا يهمنا الآن ان نتتبع تاريخ رومية فنحصر كلامنا في امر واحد وهو ترك الانتخاب الجنسي لاخلاف النسل فان حروب الرومان كانت تطلب افضل رجالهم فكانت النتيجة ان الاشداء الذين عليهم المعول ذهبوا الى الحروب والمغازي فخلت منهم البيوت والحقول والمعامل وبقي فيها الضعفاء والسقماء اي ذهب اولاد الرجال وبقي اولاد العبيد والخدم والغوغاء الذين لا تتألف الجيوش منهم

فانحطاط رومية لم ينتج من البذخ والترف وفساد الآداب ولا من فظائع نيرون وكاليغولا[1] ولا من ضعف خلفاء قسطنطين بل نشأ في فيلبين حينما تغلّب ملاك السلطة على ملاك الحرية بل نشأ قبل ذلك لما قام القناصل والحكام وقصد الرجال الذين لا يختصون لسلطة حاكم. ذهب الرجال الى أقاصي البلدان جنوداً ولم يعودوا منها وبقيت رومية حية ترزق ولكنها لم تبقَ كما كانت بل صار اهلها من نسل الذين تركوا فيها لضعفهم. ولذلك تكرّر قيام النوغاء فيها وتنصيبهم للملوك صنائعهم فصار حكم البلاد ملكياً استبدادياً لا لوجود الملوك فيها بل لعدم وجود رجال فيها. وكثيراً جُعل الواحد امبراطوراً وهو طفل في المهد ولو اقاموا خشبة جعلوها امبراطوراً لقامت مقامهُ. فلا سبب لانحطاط الامة الاّ انحطاط آبائها كما ان انحطاط القطعان ناتج من انحطاط الكباش فان الانسان والحيوان خاضعان لناموس واحد من هذا القبيل وشيوع الحكم الاستبدادي دليل انحطاط الامم. فان الرعاع الذين كانوا ينصبون قياصرة الرومان كانوا يعبدونهم ايضاً

ما قول المؤرخين في هذه الحقائق ومَن منهم عرف مغزى الاخبار التي ذكرها ونظر الى الانسان كاحد الاحياء والى الامة كمجموع منها تقوم صفاتها بصفات الاحياء التي تتألف منها. يقال ان عنصر قسطنطين كان اغلظ من حقوي اغسطس اي انهُ كان اشد استبداداً برعاياهُ من اغسطس قيصر وما ذلك الاّ لانهم زادوا ضعفاً فزاد قوة

وقد ادرك بعض المؤرخين هذه الحقيقة قال المؤرخ سبلي ان الامبراطورية الرومانية تلاشت لقلة الرجال. وقد اعطيت الجوائز للذين يتزوجون ويخلفون النسل ولكن الحروب كانت تستنزف كل اولاد الاحرار. ولما قلّ اباة الضيم زاد الحكام غطرسةً واستبداداً. وشرُّ الحكومات حكومة يعبد رعاياها راعيها. فصار الملك يجنّدهم واعوانهُ آلة في الاستبداد لا يصغي لقيل ولا يعبأ بحجة. ومَن يتول ومن يحتج والناس من ابناء العبيد والرعاع لا وطن لم يتشبثون اليهِ ولا حقيقة يذودون عنها. وصار الكتّاب اذا كتبوا احتقروا الصنائع والصنّاع ولم يجدوا الاّ رجال السيف. ولما لم يعد في البلاد رجال لحرث الارض جعلت رومية تستعير العمال من غيرها جماعات فاستحكم الضعف منها حتى غلبها البرابرة على امرها. وقد حسب الدكتور ميك المؤرخ انهُ قتل ثمانون الفاً من كل مئة الف من الاحرار وفجا خمسة وتسعون الفاً من كل مئة الف من العبيد ومفاد ذلك في علم البيولوجيا لا يخفى على احد

(١) امبراطوران مشهوران بظلمها وفظائعها

واستشهد الخطيب بكثير من اقوال الدكتور سيك ثم قال ان التاريخ يعيد نفسه اي ان حوادث الدهر تتكرر اذا تكررت اسبابها فما حل برومية حل باسبانيا وفرنسا. واوجز الكلام على اسبانيا ولكنه اسهب في الكلام على فرنسا قال يقال ان في بروكسل صورة من زمن واقعة وترلو تمثل نبوليون نازلاً الى عالم الارواح وامامه صف لا يحصى من الرجال الذين ساقهم اليه قبله ثلاثة ملايين وسبعون الفاً واكثر من نصفهم من الفرنسويين ووراءهم اشارات الى الملايين الكثيرة التي فقدها العالم بفقدهم. اولئك الرجال نخبة الامم من رجال نبوليون ومن الذين حاربهم نبوليون وجعلهم طعمة للبنادق والمدافع من الفلاحين والصناع والمعلمين من ابن ثماني عشرة سنة الى ابن خمس وثلاثين. هذا كان سنهم في الاول ثم صار يأخذ الاصغر والاكبر وعنده ان الطفل يوقف الرصاصة كالكهل. قال الدكتور سيك ان نبوليون اخذ كل طوال القامة وبشرهم في ميادين القتال ولذلك امست الامة الفرنسوية من الامم القصيرة القامة. وقال له غيره ان الفرنسويين لا يسترجعون ما كانوا يوصفون به قبل عهد الامبراطورية الاولى من طول القامة الا بعد سنين كثيرة يدوم فيها السلم والخصب

ابتدأ عهد نبوليون ابتداء مجيداً بقانونه وبسالته الفائقة ومهارته في فنون الحرب فاستحق المدح والاكرام من امته ولكن انقلبت شهامته الى عنفوان وسبيل المجد كثير المزالق فتتابعت المعارك والغارات على الاعداء فالمسالمين فالاصدقاء وزحفت جنوده على ايطاليا فمصر فسوريا فالنمسا واجتازت المانيا الى روسيا. وتوالت تعبئة الجيوش بعد الظفر والظفر بعد التعبئة فتقل الاقوياء وبقي الضعفاء لاخلاف النسل وصار التفصل الاول امبراطوراً وأصبح خادم الامة عاملها. ولم تنقطع تعبئة الجنود وهو يقول ليموتوا وسلاحهم في أيديهم فان ذلك هو المجد وأنا آخذ بثارهم واذا مات منا جندي قام جندي

شن الغارة على موسكو بستمئة الف فلم يرجع منهم الا عشرون الفاً رجعوا وقد هرأهم البرد وعضهم الجوع وصاروا اشباحاً تحمل الارواح اما هو فلم يخفض سؤرة عنفوانه فعزم على غزو المانيا وخضد شوكتها وعبأ جيشاً كالاول ولكن اكثره كان شباناً غير مدربين على حمل السلاح فكانت النتيجة ان المزايا التي كان يمتاز بها الجندي فقدتها الامة بفقد رجالها وتُركت فرنسا جريحة مأوفة. ولم تظهر آثار جروحها في العلوم والفنون لان رجال العلوم ورجال الفنون قلما يذهبون الى الحروب. واذا قطعت جذر شجرة لم يظهر الضعف حالاً في أوراقها وأثمارها ولكن لا بد من ظهوره عاجلاً او آجلاً وآثار الحروب تظهر في مستقبل الامم

ولقد استغرب البعض نهوض اليابان في هذه السنين الاخيرة وتقدمها في ميادين القتال

وفوزها على الصينيين والروس مع انهُ مرَّ عليها مئات سنة وهي راتعة في بحبوحة الامن والسلام. وفاتهم ان امنها وسلامها هما اللذان حفظا رجالها وانما نسلهم فاذا نما الافراد لم ينمُ معهم الضعف لان ناموس بقاء الاصلح يقرض هؤلاء من امام اولئك . وما احسن ما قالهُ احد اليابانيين وهو « ان الذين انتصروا في يالو وكوريا ومنشوريا هم ارواح اسلافنا الذين كانوا يشدون ايدينا و يبضون في عروقنا واذا خشتَ الياباني وجدتهُ سموريًّا (رجل حرب) ولو كان في مقدمة ابناء العصر »

واذا استمرَّت اليابان مئتي سنة اخرى مشتبكة في الحروب وبقي فيها رجال حرب كما فيها الآن فيكون ذلك من عجائب الدهر بل نعمة لم تنلها امةٌ من الامم . نعم ان الامم الحربية تكثر من ذكر الحروب في اقوالها واشعارها ولكن ذكر الحروب شيء وقيام الرجال القادرين على الفوز فيها شيء آخر

وختم الخطيب خطبتهُ بالاشارة الى رجال الانكليز الذين يقتلون في البلدان القاصية فتتقدم الامة وتفقد نسلهم ولكنهُ قال ان الامة الانكليزية لم تضعف كثيراً بفقدهم لقلتهم بالنسبة الى سائر ابنائها ولان فيها وسائل اخرى تزيل الضعف او تخفيه . انتهى

و يظهر لنا ان ما قالهُ عن الامة الرومانية والامة الفرنسوية يصدق على كل الامم الغابرة ولاسيما على الامة العربية التي استحرَّ فيها القتل قبل الاسلام وبعدهُ ولعلهُ السبب الاكبر لما حلَّ بمالك العرب من الضعف والوهن . وقد انتبه العرب لذلك حتى في جاهليتهم قال سعد بن مالك جد طرفة بن العبد

بشى الخلائف بعدنا اولاد يشكر والقنا
كيف الحياة اذا خلت منا الظواهر والبطاحُ
اين الاعزة والاسنَّة عند ذلك والسماحُ

اي اذا قتل كرام القوم فسدت الخلائف بعدهم وزال من القبيلة اعزتها ورجال الحرب والسماح فيها . فعسى ان يسمع صوت الخطيب كل الذين في يدهم لياذ الامم ومستقبلها فيبادروا الى ابطال الحروب والتجنيد لها قبلما يضطرون الى ذلك اضطراراً بقلة الرجال الصالحين للقتال

ولكن الظواهر تدلُّ على انهم لا يفعلون شيئاً الاَّ مضطرين وقد لا يمهلهم الاشتراكيون الى ان يقلّ الرجال الصالحون للقتال بل يضطرونهم الى ابطال التجنيد بنشر المبادىء الاشتراكية ومنع الاغنياء من الكسب بالحروب وبالاستعداد لها .

من المهد الى اللحد (١)

اخواني

اسمحوا لي قبل شيء أن أحيي وانا فوق هذا المنبر جمعية الاتحاد والاحسان السورية العثمانية التي دعتني للخطابة في هذه الحفلة لا لانها فعلت ذلك لقد كنت افضل البقاء في زاوية عملي صامتاً بعد ان هجرت المنابر ولكن إعجاباً مني بالمبدإ الذي تأسست لاجلهِ والعمل الكبير الذي اخذت على نفسها القيام بهِ اقول العمل الكبير ولا اقصد بهِ مجرَّد الاحسان المادي المعروف فقد صار عمل الخير على هذه الطريقة شائعاً في كل بقعة من الارض تطأها قدم الانسان المتمدن ولا تكاد تجد رجلاً يأبى ان يمد الفقير يد السخاء بكسرة من الخبز يسد بها جوعهُ وقطعة من الكساء يستر بها عريهُ إنما قصدت مبدأ الاتحاد السامي الذي نحن في أشد الحاجة اليهِ تنادي بهِ على المنابر ونكتب عنهُ في الجرائد ونجعلهُ حديثنا في كل مجتمع ولا نزال فيهِ على حد قول الشاعر

وما قتلت نفسي من الخير لقطة ربا طالما فاقت بهِ الخطباء

هذا المبدأ الشريف نهضت اليهِ هذه الجمعية نهضة المؤمن واعتنقتهُ اعتناق الدين فكان منها انها قدرت مع ضعفها على عمل قصرعنهُ غيرها ممن هم اوفر ثروة وعدداً واوسع جاهاً ونفوذاً . انظروا الى القاهرة والاسكندرية وانظروا الى الديار السورية جميعاً وقولوا لي هل رأيتم مثل هذا مجتمعاً تخلع لدى عتبة بابهِ المذاهب ويلجهُ الناس عراة من تقاليدهم ليكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً ؟ انكم لو فتشتم مصر وسورية بلداً بلداً ما رأيتم عملاً يقام للخير ولا تكون عليهِ سمة الانتساب الطائفي بل تعوَّد الناس ان يختلفوا في هيا كل الرحمة كما يختلفون في هيا كل العبادة فاذا جاءهم غريب قالوا اذهب الى الطائفة التي انت منها انا نحن لاخواننا محسنون . يا سبحان الله أو يرضى الله عما يعملون ؟ فطنطا في البلد الوحيد الذي اظهر للناس امكان الاتحاد وقيمة الاتحاد وهو فخر يا قوم اذا سجل لكم في تاريخ الارتقاء فقد سجل العار على اخوانكم في البلدان الكبيرة . تأخروا وكنتم السابقين

واني ولئن كنت اذهب الى ابعد مما ترون فلا احسب الانتماء الى طائفة من الطوائف

(١) خطبة للدكتور تمثيلا لنهاض القاها على سوريي طنطا وضواحيها في الاحتفال السنوي الرابع لجمعية الاتحاد والاحسان السورية العثمانية

والفضل ان لا تنسب جمعية خيرية الى ملعب ولا الى امة بل ان تكون كلها انسانية لا نسبة لها الاَّ الانسانية وان لم يكن بد من الانتساب فالبلد الموجودة فيهِ الانسانية فرنسوية في فرنسا وانكليزية في انكلترا ومصرية في مصر . اقول وان كنت اذهب الى ذلك فاني لا اجهل ان الاتحاد لهذه الدرجة لينسى الانسان امتهُ وينتسب الى البلد المقيم فيهِ او الاخوان العائش بينهم لا يزال واأسفاهُ حالاً من الاحلام والانسانية لا تزال مفترقة في الانسان فاضطر الى الرضى بالموجود قائلاً باخطوة الكبيرة التي كنتم البادئين بها والتقدم باسمًا الى ساحتكم الواسعة قائلاً السلام عليكم

السلام عليكم وعلى كل من شاركم في العمل . السلام على البلد الذي انتم فيهِ السلام على مديركم الفاضل الذي عرفتهُ من قبل بالسمع حازمًا محبًا ورأيتهُ اليوم فوق ذلك خطيبًا فصيحًا والذي ارجو ان تتقدم ملتطا في ايامهِ لتقدمهِ باصرًا يساعد على انتشار هذه النهضة لانهُ مبعث انوارها

واذا كان هذا هو مبلغ اعجابي بالجمعية التي تحتفل اليوم لعيدها السنوي فهل تظنونني جاعلاً خطابي كلهُ شكرًا لها او لكم لا وحياتكم بل انا اعتقد ان الانسان لا يشكر اذا ادى الواجب عليهِ واذا كانت هذه الحقيقة مجهولة او منسية فلأن الفضائل على تقدمها في هذا العصر الراقي لا تزال نادرة فينا حتى صارت معرفة الواجب تعد فضيلة فالواقف امامكم الآن يكرهُ التقليد وحسبهُ في هذا المعرض ان يظهر ما يختلج قلبهُ من السرور وما يسطع في ضميرهِ من الامل ان تكون هذه الجمعية مدرسة للشرق يتعلم منها قيمة الاتحاد فيشبه بها وان يتسع نطاقها مع الزمن فتضاعف عملها وتكمل النواقص فيهِ

اخواني

امام هذا الامل الكبير الذي اعقدهُ عليكم والسرور العظيم الذي اشعر بهِ عندما اراكم — عند ما ارى جباهكم المشرقة بنور اليقين وعيونكم المتقدة بنار الحماسة وشفاهكم المختلجة بابتسامة المحبة لا اكتم عاطفة حزن وجزع تمرُّ بي كما تمر الغيمة في السماء فتحجب حينًا عن ذهني هذا الافق الجميل . ذلك ان هذا العمل قد لا يدوم شأن كل المساعي الجميلة في الشرق لا لانكم ستختلفون بعد الاتحاد فان من ذاق حلاوة هذه الكاس يشتاق اليها ابدًا ولكن لقلة الوسائل بين ايديكم وكثرة النفقات من حولكم ثم اغائظ نفسي وابدد هذه الغيمة السوداء بما ارى حولي من بيض الايادي فاقول لا . لن يموت هذا الطفل الجميل بل هو من اولاد الحياة . لن تيبس هذه النبتة التي سقتها يد الكريم ومقلة اليتيم بل ستنمو وتكبر حتى تصير

شجرة باسقة راسخة الاصول ممتدة الاغصان

زيتونة شرقية غربية نفاحة ابداً تدر زيوتا

ولاسيما عند ما اجيل طرفي فاجد من خلقي لمثل هذا العمل قريباً منكم مشرفاً عليكم كما يشرف الاب على بنيه لان المحسن الذي بسط يده بالامس لا يقبضها في الغد وعندي ان الفرد قد يعمل فيفيد اكثر من جمهور . والاحسان الى هذه الجمعية احسان الى امة بل الى امم . احسان الى ابناء اليوم وابناء الغد احسان الى الحاضر والى المستقبل والذي وقف لخير ماله الكثير قادر ان يجعل لها نصيباً من برّه يضمن لها البقاء الطويل ان شاء الله

اظنكم عرفتم من عنيت ولا حاجة بي الى تعريفه واذا غابت طلعته اليوم عن هذا النادي فان اعماله ظاهرة فيه ناطقة بفضل نجيب نوفل

وبعدُ ، موضوعي من المهد الى اللحد وهو موضوع واسع كما ترون يتناول حياة الانسان منذ يولد الى ساعة فيها يموت فلا تكفيه دقائق معدودة وعلم محدود ولهذا لا ادعي خوض غماره هذا المساء وان هي الا تأملات وآمال عرضت لي عند ما لبيت دعوة الجمعية فاحببت عرضها عليكم موجزاً ما امكن الايجاز مارًّا فوق الحياة كما يمر الطائر فوق البلد المأهول واقفاً حيناً بعد حين مسرعاً حيث لا يحسن الوقوف

يولد الانسان وهو لا يدري ولا ابواه يدريان ولا احد من الناس يدري ما يكون مستقره في الارض وما تكون حصته من الهواء والنور . تصوّر جنيناً في بطن امه قبل الحياة على الرغم منه كما قبل لامارتين الحب فينمو ويكبر ويشتد ويدخل معترك الحياة وميدان التنازع على نسبة ما عنده من الاستعداد للنمو والعمل . هذا الاستعداد هو رأسمال الحياة الذي يحمله الوليد عند دخوله الى العالم فيكون أساساً لاعماله ومصدراً لحركاته وعلى نسبته تشتد قواه او تضعف وتسعد صحته او تشقى وتطول حياته او تقصر وهو يختلف في الناس اختلافهم في مظاهر الوجود فمنهم من يرث منه ارثاً شيئاً ومنهم من يولد فقيراً معدماً فلا يكاد يفتح عينيه للنور حتى يتلقفه الموت لا لمرض فيه بل لانه لا قوة له على الحياة أو بعبارة أخرى ليس له رأسمال يخوله البقاء حيناً على الارض فيذهب شهيد الفقر الصحي وضحية الانلاق الحيوي . وبين هاتين الطبقتين الثروة والفقر درجات متعددة يتمتع فيها الانسان من الحياة على قدر ما ملكت يمينه من هذا الرأسمال فمن عمر يوم الى عمر شهر الى سنة الى عدة سنين حتى تصل الى القمة حيث يقيم الاخصائيه اغنياء الصحة اصحاب الرأسمال الحيوي الكبير الذين يعيشون طويلاً متسربلين بالعافية وقلما تضعضعهم الآلام او تتبلبلهم العلل

بل تقف حياتهم عند انتهاء سيرها الطبيعي كما تقف الرصاصة التي تطلقها في الفضاء منتهية الى الارض عند تفاد سرعتها الاولى بعد ان تكون رسمت قوسها المعلوم وقطعت مسافتها المحدودة

لكن قليل هم الذين يصلون الى هذه القمة قليلٌ هم الذين يعمرون نحو المئة او يموتون ميتة طبيعية لان تنازع البقاء قضى على الانسان ان يكون هدفاً للاخطار والامراض وأذى الكائنات المحيطة به من الانسان نفسه الى الحيوانات المجهر الى النبات الى الظواهر الجوية وكلها تؤثر في راسماله وتجتهد في تبديده واضاعته فاذا لم يكن سهراناً عليه حريصاً ساعياً في حفظه مجدداً مقبلاً على توليده والتعويض عما انفق منه فقلما يسلم من الافلاس وعاقبة الافلاس الموت الباكر او الخسران ونتيجة الخسران الشيخوخة العاجلة والهرم قبل الاوان

والمحافظة على الراسمال ليست سهلة كما يتوهم البعض وما هي عمل يومٍ او سنة بل عمل ازمان متعاقبة يتناقله الخلف عن السلف وسرجها العناية بالعاملين الكبيرين اللذين يتنازعان الانسان في هذا الوجود وهما الوراثة والتربية . اما الوراثة فلانها مصدر هذا الراسمال والاصل في تكونه واما التربية فلانها وحدها القادرة على تغيير الانسان وتكييفه في نموه تكييفاً يطابق الوراثة او يناقضها ويقوي الاستعداد او يضعفه . وهنا مجال واسع للقول لا حيلة للمولان فيه فقد وضعتكم الايحاز والتربية موضوع مطول ولاسيما اذا طرقت نقائصها الكثيرة ودخلت مذاهبها المعوجة وطرقها الفاسدة وأظهرت لكم ضلال القائمين بها من جانب وتقصيرهم من جانب آخر فاسرد على هذا الفصل من كتاب الاجتماع مضطراً ولكن بعد ان اقول كلمة مجملة فيه وهي ان هذه التربية وعلى الخصوص ما تعلق منها بالصحة مباشرة لاتختص بجيل من الناس او عمر من الاعمار بل تتناول الجميع من رجال ونساء فيكون التيتم عليها في الصغر الاباء والامهات وفي الكبر البنين والبنات وبين هذين الافقين فالانسان يربيه العلم في المدرسة ثم يربي نفسه في مدرسة العالم

قلت التيتم عليها في الصغر هم الاباء لانهم مسؤولون عن حياة هذا الحيوان الصغير الجاهل كل شيء البريء من تبعة كل شيء وتربية بسيطة لو تدبروها تنحصر في امور ثلاثة أكل وشرب ونوم . نوم وشرب وأكل . وكل امراض الطفولة ناتجة عن الاخلال باحد هذه الشروط او بها كلها سواء كان بالكيفية ام بالكمية

والتيتم عليهم في الكبر هم الابناء لان الواجب يقضي عليهم ان يعاملوا آباءهم بمثل ما

عاملوهم في حداثتهم ليولوا لهم وسائل الراحة والتعزية الملائمة ويحتفظوا ما امكن بهذه الفسحة التي تكون كصباح وضع اتاهم في ظلمات المستقبل بهديهم بنوره ولو كان ضئيلاً

اما المعلم في المدرسة فحسبي ان اقول انهُ كالطبيب فكما ان هذا يعالج المريض لا المرض فالمعلم يعالج كلاً حسب استعداده او قيمة رأسماله في الصحة كما سبق القول وبذلك يقرب الناس من المستوى الطبيعي ويوفر للمتأخرين وسائل الارتقاء والتحاق بغيرهم لان عدم المساواة في التربية هو الواسطة الوحيدة للمساواة . ولا يتوهم احد اني اقصد المساواة المطلقة فهي مستحيلة الوجود بين الناس مهما تمنى بها شعراؤهم وركض وراءها فقراؤهم وحارب من اجلها زعماؤهم . ان الفكرة الاولى التي شيد على اساسها مبدأ المساواة الجميل هي فلسفية وسياسية معاً اما السياسية فلأن الظلم كان بالغاً نهايتهُ في الحكومات والثروة منحصرة في فئة من الناس لا تخرج من ايديهم والمحاباة واضعة اثقالها على الاعناق . والرياء والتملق من حول العرش يخدان التاج ويعززان الصولجان فهبت ريح الثورة وكان اول صوت صارخ في ابواقها الرجال سواء في الحقوق والواجبات هكذا تولد وهكذا تعيش . واما الفلسفية فمن مولدات جان جاك وروسو وكوندلياك واشياعهما لاعتقادهم ان الانسان خلق صالحاً والاجتماع يفسدهُ وان مساواة الحقوق نتيجة مساواة طبيعية حاصلة بالقوة

ولكن هذه المساواة الطبيعية غير صحيحة كما دلنا عليهِ الرأسمال الحيوي وتباين الناس في استعدادهم الفطري فترى هذا قوي البنية وذاك ضعيفها هذا شديد المراس يستطيع احتمال المشاق ومقاومة الامراض وذاك سريع التعب يدب اليهِ الضعف لاوفى سبب الواحد يأكل ويحرق في اعماق جسمهِ ما يأكل والثاني يمتنع بنفس القابلية للاكل الاَّ انهُ بطيء التغذية الخلوية والتمثيل فلا يسلم من داء النقرس او الحمى او السمن المفرط وما شاكل . فضلاً عما يحملهُ الجنين من الوراثة وهو في بطن امهِ فابن السكير يرث جسماً مستعدًّا للصرع والجنون اكثر من غيرهِ وابن المسلول يرث جسماً حساساً قابلاً لهذا الداء الوبيل اكثر من سواهُ . بل المساواة لو تأملتم مفقودة في الانسان الواحد فهو قسمان متقابلان بينهما اشتراك في بعض الاعضاء كالقناة الهضمية والقلب واللسان ولكل من النصفين دماغ وكلية وعين واذن ويد ورجل تختلف في اليمين عما هي في اليسار في الحجم والقوة والشعور وهذا ما يسمونهُ بالانسان الايمن والانسان الايسر . فالمساواة الطبيعية كما ترون وهمٌ يُبنى التربية في المدارس على اساسهِ فجاء بناؤها فاسداً قلقاً لان اعتبار التلامذة في درجة واحدة من المقدرة على الدرس والعمل والرياضة والادراك وفيهم المريض والكسلان وضعيف الهضم وثقيل السمع وغير

ذلك ظلم عاقبتهُ التقصير والذل والمرض . قال باكون الفيلسوف لا يحكم الانسان على الطبيعة الاَّ بالخضوع لها . يعني ان نراعي حالة من تربيتهِ وتجاربهُ في استعدادهِ ونسايرهُ في ميلهِ لنبلغ مأربنا من تثقيفهِ وتقويمهِ

ويخرج الانسان من المدرسة تامي العقل والبدن وقد توفرت لديهِ ذرائع الجهاد فلم يبقَ لهُ الاَّ ان يستعمل ما عندهُ من الراسمال ويستثمرهُ ليرجع عليهِ بالفائدة الكبرى ويربح منهُ غاية ما يمكن ان يربح ولا يتم لهُ هذا الاَّ اذا حافظ على الشرط الوحيد في هذا الدور من العمر وهو الاعتدال . الاعتدال في كل شيء في الاكل والشرب والدوم في العمل والتعب حتى الراحة نفسها لا يجوز الافراط فيها وهنا يظهر فضل تربية الاخلاق التي تجعل الانسان حاكماً على مزاجهِ لا عبداً لهُ فلا يستسلم كل الاستسلام للاحداث النفسانية كالفرح والحزن والغضب والعشق بل يجتهد ان يكون قليل الاحساس والشعور ما وجد الى ذلك سبيلاً . معاذ الله ان اقصد بكلامي محو الاحساس من صفحة الوجود وتجريد الانسان من كل عاطفة ومن لهم ذلك فقد ظلمني وجعل حقيقة امري فالاحساس قاعدة العمل في حياتنا الادبية ومن الجنون ان نطمع بهدم هذه القاعدة ولكن الانسان قد بالغ في الخضوع لسلطان التأثر ولجَّ في تمجيد الالم والحزن والهوى وطالما لهُ موقف روميو على قبر جوليت وتكرر تمثيل هذا الفصل المحزن في القصص والروايات والحوادث اليومية مع ان الخضوع المؤثر ما الى درجة الرق ضعف بل مرض يدنع الانسان في مزلق لا خلاص منهُ ولا نهاية لهُ فتربية الاخلاق لا تقتل العواطف ولكنها تضع حدًّا لتيارها حتى اذا طما لا تغرق فيهِ بل تدربهُ في الوجهة التي يمكن انصبابها والانتفاع بها كالنيل تقيدهُ في المجاري ليتجه الى البقعة التي يطلب ريها

اذا وصل الانسان الى هذا الحد اذا امكنهُ ان يدرج من عشهِ ويقطع المرحلة الاولى بدون ان تتابهُ امراضها المضعفة ثم نما بدنهُ وعقلهُ نموًّا صحيحاً وتلقى تربية صحيحة تكون اساساً لحياتهِ الاجتماعية حتى اذا دخل في دور الجهاد الحق استطاع ان يستثمر ما خزنهُ في ايام نموهِ ويشيد على ماضيهِ بناء متيناً — اذا وصل الى هذا الحد فبشرهُ بعمر طويل حتى لا يحس فيهِ بفقر الى الراحة او القوة بل يخشى مشية طبيعية نحو الشيخوخة التي اقلقت الانسان من عهد بعيد واراحنا منها اليوم متشيكوف افقاً جديداً باسماً

هذه هي كلمتي المجملة عن التربية وتأثيرها في الرأسمال اليومي ولي مثلها عن الوراثة وهنا ايضاً لا اطيل وقتي لاني لا اقصد ان اشرح لكم امراض الوراثة واقسامها وآراء العلماء فيها وفي التطيل عنها مما ملئت بهِ مجلدات العلم والطب انما اتناول ما يهمنا مباشرة لحديث الذي

نحن في صدده من تحسين الأعمال وتقوية الاستعداد بترقية النسل فلواضح ان الوراثة هي التي تقدم الارض المزروعة وكانت للغاية من التربية نزع البذار الفاسد وتمهد الصالح بالسقي فعلينا ان نمهد السبيل للتربية ونسهل عملها بالعناية بالزرع ما امكن وذلك لا يتم الا بانتخاب العاملين اللذين يؤثران فيه اي في الزرع وهما الاب والام او بعبارة ثانية باختيار الزوج وتحسين الزواج

رب قائل يقول ما للخطيب وهذا المأزق الخشن وما بال هذا الملزب يريد ان يباحثنا في الزواج فاذا كانت غايتهُ ان يسوقنا الى مواقفه المحزنة فلا يرينا في هذا المرض سوى ازهار ذابلة واغصان يابسة فنحن في غنىً عن ذلك واذا كان يحسب الزواج من حسنات العمر وفرص الدهر التي يجب انتهازها فيتقدم عليهِ وكفى . لا هذا ولا ذاك ايها القوم الكرام انما انظر الى الزواج بعين الطبيب لا بعين الشاعر ولا بعين الفيلسوف واذا حق للخطيب ان يقف موقف المصلح في مثل هذا الجمع الذي يرمن عما اتى انهُ أهل لقطع سلاسل التقليد والخروج عن المألوف . فكلمتي عن الزواج كلمة انتقاد لا اقصد بها ذاتاً معينة يدفعني اليها ما ارامهُ كل يوم من ضحايا الزواج واسمعهُ حولي من تلك الشكوى الازلية التي ردّد صداها في العهد القديم بلسان حزقيال النبي « الآباء اكلوا الحصرم واسنان الاولاد ضرست»

كان التنافس في سبيل المرأة بالغاً غايتهُ في العصور المتوسطة الا انهُ كان بالقوة البدنية والمبارزة فالفائز في ميدان الكفاح هو الفائز باكليل النصر من يد الحبيبة أما اليوم فقد صارت المنافسة بالاشياء المادية كحسن الصورة واللباس او المعنوية كالموسيقى والغناء او العقلية كالذكاء والعلم . غير ان الصفات قد تكون ظواهر غرارة تخفي تحتها عيوباً صحية يجهلها طالب الزواج أو يتجاهلها فتنتقل بحكم الوراثة الصارمة الى البنين فاذا اردنا أن نجعل رأس مال الحياة كبيراً كافياً ليقطع حاملهُ مراحل العمر براحة وهناء حق علينا أن نتنبه الى الزرع فلا تلقي في الارض الحياة حبّاً فاسداً ولا حبّاً قاسداً . والصفات الحسنية تنتقل بالارث كالمادية فاذا غلب القبيح فيها ظهرت آثارهُ في النسل سواء كان في العقل ام الاخلاق والامزجة . فالواجب الاول على الراغب في الزواج ان يدبر هذه الاحوال كافة أنا لا أبالغ كبوغارد شو في فلسفته فاحصر الزواج في دائرة ضيقة لا يتخطاها فلا تزوج الا العالم بالعلة والقوي بالقوية والذكي بالذكية والجميل بالجميلة ونصدر حكمنا القطعي على الباقين وهم السواد الاعظم ممن لم يسعدهم الحظ ان يكونوا اذكياء اقوياء او يكونوا من اهل الجمال او المال فان هذه الفلسفة صورة استبداد محض فضلاً عن انها حلم لا يتحقق لكن لا اريد ان يكون دخولنا من هذا الباب وسيلة للذة

الذاتية ودُربة لقضاء اهواء النفس دون النظر في عواقبهِ الممكنة واجتناب ما يجب اجتنابهُ من اهوالها

اجمع العلماء اليوم على ان الانسانية صائرة الى التقهقر في التركيب والنمو وان كانت على تقدم باهر في العلم والاختراع فاجسامنا اضيق واقصر من اجسام اجدادنا ومعدل الحياة اليوم يقل عما كان عليهِ في الماضي وربما كان ذلك على زعم بعضهم ناتجاً عن التمدين نفسهِ فان الانسانية لويت على كشف اسرار الوجود واستخدام قسم من قوى الخليقة ولكن ذلك كلفها كثيراً فكانت كالجندي الذي يخرج من الحرب ظافراً فانهُ يخرج ايضاً ضعيف القوى . ومما يزيد في هذا التقهقر ويساعد عليهِ ان الطب على تقدمهِ لم يتوصل الى شفاء الامراض بل توصل بالمعالجة الى تخفيف آلامها والمد في اجلها فكانت النتيجة ان المسلول والمزهور ومختل الشعور يعيشون الى اكثر مما كان يعيش [illegible] الماضي ولا يمنعهم المرض من الزواج والتناسل فتنتقل آفاتهم الى اولادهم ويزداد بالتدريج عدد الضعفاء والمرضى بدلاً من ان ينقص فنرون من هذا كم يقتضي من الوقت والعناية والتجرد عن المصلحة الذاتية ليوفق الفرد او الاسرة الى سلالة صحيحة راقية . كان اهل سبارتة يأخذون الطفل الوليد ويفحصونهُ فحصاً دقيقاً فاذا وجدوا فيهِ ضعفاً او عاهة ما قتلوهُ ولا يسمحون بالبقاء والنمو والتناسل الاَّ للقوي الجسم الصحيح البنية وهذا هو سبب بقاء الجمال والقوة زمناً طويلاً في هذا الجيل كما يرويهِ لنا التاريخ . وكثير من قبائل الهنود ذوي الجلود الحمراء من اميركا الشمالية يرجح الفضل في قوة بأسهم وشدة مراسهم الى استعمال هذه العادة فنحن لا نطلب ان نقلد اهل سبارتة ونتوحشي اميركا انما نطلب ان يكون لنا وجدان حي وضمير صادق فلا نتهور في الزواج قبل التدبر لنتائجهِ ما امكن والتحرز من اضراره وجهد المستطاع . نطلب ان يكون طالب الزواج رقيباً على نفسهِ فلا يقدم عليهِ وهو مريض فيحقق تلك الجناية التي استصرخ ضدها فيلسوف الشعراء الاجيال الآتية . نطلب من الشاب ان لا يصرف اجمل ايام العمر الايام التي يمكنهُ ان يقوم فيها باسمى الاعمال ايام النشاط والتوليد والاختراع ليقضيها في الشرب والسهر وما وراءهما من اسرار الليل حتى اذا طوى صفحتهُ الجميلة واستنفد رأسمالهُ او كاد جاء الى الزواج يطلب الراحة في ظلالهِ والسكون من وراثهِ فيظلم فتاتهُ ويظلم اولادهُ من بعدها . نطلب من الوالدين ان يكونوا كباراً في نفوسهم واخلاقهم فلا يعرضوا باولادهم الى مصائب العيلة ارضاء لاميالهم الذاتية واطماعهم المادية . اسألكم ما هو عدد الذين يقومون بما ذكرت من الشروط كم من الذين يتخذون الزواج ألعوبة ليقدمون عليهِ وهم يعلمون حق العلم انهُ لا قدرة

لم على القيام بواجباته المقدسة و بالعكس كم من الذين يمنعونهُ او يمتنعون عنهُ لا لعدم توفر الشروط الصحية والادبية فيهم بل لعلة العلل التي هي المال او لعلة لا تقل عنها شرًّا وهي الدين . الدين لا كما وضعهُ الله آمراً بالحب داعياً الى السلام بل الدين كما اراده البشر آمراً بالتعصب حاملاً على الخلف ناهياً عن اتحاد قلبين لم يتحدا في مذهب العبادة

اخواني . ما لفظت كلمة الدين لاخفي عليهِ باللائمة وما انا من يطلب ابطال الدين الذي قال عنهُ ميرابو انهُ ضروري للانسان كالحرية بل لا احب ان تعرض فرصة فتفلت دون ان اظهر فكري بهذا الشأن واحارب من يعتقد ذلك فالاديان كما قال غوستاف لبون ابواب مفتوحة تطل على عالم الاحلام والانسان لا تكفيهِ الحقيقة ليعيش فيها بل هو في حاجة الى الامل وليس الاَّ هذه العوالم المجهولة ما يخولهُ ان يبني قصوراً مسحورة آهلة بالاحلام منيعة على كل من يحاول هدمها لان الدين البشرية لا تصل اليها . انما قصدت ان اقول انهُ مضى الزمن الذي كانت فيهِ سياسة الممالك وقيادة الشعوب صادرة من وراء الهياكل فالدين لا دخل لهُ اليوم في الاحوال العمرانية حيث جلس العلم على سرير ملكهِ وحسبهُ ان يبقى في دائرته صلة بين الارض والسماء والخالق والخليقة . فمتى عرف الكاهن ذلك متى وُجد رؤساء عقلاء يشأون و ينشأ من تحت ايديهم امثال لهم رعاةً متنورين مستقلين فكراً احراراً ارادة نزهاء عن الغايات لا يهمهم الضغط على الافكار استجلاباً لتاس اليهم مكتفين ببث مبادىء الحب الذي تأمر بهِ الاديان كافة . معترفين بالفضل اين كان في سواهم كما في ذويهم . متى فكوا الزواج من عقالهِ واطلق الحب من قيودهِ المذهبية فارجعوا الشريعة الطبيعية وهي شريعة الله الى مقامها فوق شرائعهم الفانية . متى تمَّ كل ذلك فقد سقط سور عظيم من اسوار التقهقر والاستبداد وطلع فجر جديد للحرية في صميم البشر

اخواني . هذه هي التأملات التي عرضت لي والآمال التي احببتُ ان تشاركوني فيها . ما اجمل اليوم الذي تنتشر فيهِ هذه المباوئ الصحية العمرانية فتصلح التربية بمقتضى استعداد الانسان و يصلح الزواج لترقية النسل بتخفيف مساوىء الوراثة فتكون النتيجة غنى الانسان برأسمالهِ الحيوي ليقوى على مكافحة عناصر الوجود مقاومة الامراض التي تفكر كاس الحياة وتقصر مدى العمر . وما احراكم وقد كنتم البادئين بالدعوة الى الاتحاد في هذه الديار ان تولوا وجوهكم هذا المقصد النبيل فتنشروا روح الاصلاح بالقول والعمل

أتعلمون من انتم الآن يا إخواني كرام السوريين في طنطا؟ لستم فقط مجموع قوى

وارادات وعقول انتم صورة من ألواح الشرائع الادبية شرائع المحبة والرحمة والاخاء التي سيظهر المستقبل نورها الساطع على طور سيناء الشرق الجديد والوظيفة التي تتقلدونها من امس الوظائف لانكم جئتم لتلقوا كالمسيح حربًا لا سلامًا . وعدوكم ليس رجلاً ولا جماعة هو جيش من التقاليد الفاسدة والعادات المفسرة هو وحش ذو رؤوس كثيرة كالوحش الذي قتله هرقل في خرافات الاقدمين هو الجهل قبل التعصب والخمول قبل الفقر والظلم قبل المرض والجوع . ولقد حاربتم التعصب بالاتحاد والفقر بالاحسان ولكن الوحش لا يزال حيًا شاخ الرؤوس يتهدد الفريسة من كل جانب

انا من الذين يطأطئون الرأس امام هذه الاعمال المقدسة اطعام الجائع والباس العريان ولكن لا اجهل مساوئ هذه الطريقة التي تعود في الغالب الكسل وتقود الى القلب والذي أريده واقتناه هو الاحسان بصورتيه الادبية والمادية : الاحسان بالعمل قبل الدرهم هو ان لا يبقى بيننا فم جائع ولا فكر مظلم هو ان نرسل القوت الى جوف الفقير والنور الى فؤاده ليباركنا اذا تعلم كما يحدثنا اذا شبع . الذي أريده واقتناه ان تعم التربية الصحية وتربية الاخلاق بين كل طبقات الشعب المتنورة وغير المتنورة ليقتصد الانسان في انفاق قواه البدنية والعقلية ويكون له ضمير حي يدفعه الى خدمة هذا المبدإ العام الذي هو ارتقاء النسل حتى لا يكون الزواج فيما بعد على حد قول الشاعر

على الوالدين يجني والد ولا على امهارهم خطباء

واذا وجهت لكم هذا الحديث فلأني لا ارى من حولي سواكم وقد قدرتم على ما هو اصعب . قدرتم على ضم العناصر المختلفة وهدم ذلك الحاجز الهائل الذي ما زال في الشرق يفصل الاب عن بنيه والجار عن جاره فستقدرون على نشر هذه المبادىء . لا تستكبروا الخير ولا تستصغروا انفسكم امام الغاية بل كونوا لها نصراء في الدائرة التي انتم فيها . ليحفظ كل فرد منكم هذه المبادئ وليحملها حيث تريه به الاقدار . ابدأوا بانفسكم . ازرعوا المحبة في الارض . والمستقبل يتعهد بالباقي اقدحوا الزناد في هذا الهشيم اليابس والشرارة الصغيرة تصير نارًا آكلة تظهر ما حولها من ارض وسماء . اعملوا ولا تخافوا صعوبة الموقف بل انظروا الى المستقبل بحسارة كما نظر دانتون الى اوربا وكما نظر لامنه الى اللانهاية ذلك المستقبل الكثير الاسماء الذي يسميه الجبان مستحيلاً ويسميه الجاهل مجهولاً ونسميه نحن الفاكرين طريق الكمال

رحلة بارتيا الى الحجاز واليمن والهند

(تابع ما قبلهُ)

ذكرنا في العدد الماضي ارتحال بارتيا من بلاد فارس ووصولهُ الى الهند ونذكر الآن بعض ما رآهُ في الهند مما يرى فيهِ فائدة او فكاهة

اول مدينة زارها من مدن الهند كنباية[1] او خمبايوط قال انها على مصب نهر المى الجنوب من نهر السند وهي جميلة جدًّا يصدر منها القطن والحبوب والفواكه والافاويه والحجارة الكريمة الى سائر البلاد . وعلى ستة ايام منها جبل يخرج منهُ العقيق والجزع وحذاك جبل آخر يخرج منهُ الالماس

وصاحب البلاد اسمهُ السلطان محمود يبلغ عدد رجالهِ ٣٠ الف مقاتل وعندهُ من الفيلة خمسون فيلاً يأتي بها الفيّالون الى قصرهِ كل صباح فتسلّم عليهِ وتنصرف واذا جلس الى طعامهِ جاء المغنون ومعهم آلات الطرب يضربون بها امامهُ . ولهذا السلطان شاربان كبيران جدًّا يعقدهما وراء رأسهِ كما تعقد المرأة ضفائرها ولهُ لحية بيضاء طويلة جدًّا تصل الى منطقتهِ . وقد اعتاد اكل السموم منذ صغرهِ فيتناول كل يوم شيئاً منها فلا تؤذيهِ . وهو على جانب عظيم من الثروة فان ما يرسل من القطن والحرير الى بلاد الفرس والتتر وبر الترك والشام وافريقية واليمن والحبشة يصدر كلهُ من هذه المدينة ومدينة اخرى في الهند

وسافر بعد ذلك الى مدن كثيرة منها مدينة دكّن فقال ان سلطانها من المسلمين يبلغ عدد جيشهِ ٢٥ الف مقاتل ويقيم في قصر جميل جدًّا واذا دخل عليهِ زائر مرّ في ٤٤ حجرة قبل ان يصل الى حجرة السلطان . وقال انهُ يحب الابهة والتفخفخ وهو غني جدًّا حتى ان خلفاءهُ يرصعون احذيتهم بحجارة الياقوت والالماس اما ما يتحلّون بهِ منهُ في اذانهم وعلى ايديهم فيفوق التصوّر . واهل البلاد كلهم مسلمون يلبسون جبباً جميلة من الحرير والنساء يتطيّبن وجوههن مثل نساء دمشق[2]

وبعد ان مرّ بمدن كثيرة وصل الى نارسنجا فقال ان ملكها وثني غني جدًّا وعلى جانب عظيم من القوة فان عدد فرسانهِ اربعون الفاً على قدرة الخيل هناك لانها كلها تجلب الى البلاد من الخارج فيبلغ ثمن الحصان من ٣٠٠ برداي[3] الى ٨٠٠ وكان عند هذا الملك ٤٠٠ فيل

(١) كنباية مدينة في الجانب الغربي من بلاد الهند زارها المسعودي سنة ٣٠٣ للهجرة وكان سلطانها في ايامهِ من الرتبيين (٢) كان سلطان دكان في ذلك الزمن ابو المظفر يوسف عادل شاه مؤسس دولة بني عادل شاه (٣) البرداي يساوي دينارين اي نحو عشرين فرنكاً

وكثير من المجن السريعة . ثم وصف حرب الهنود بالفيلة فقال انهم يضعون على الفيل سريجاً يربطونهُ على وسطهِ بسلاسل الحديد ويضعون على كلٍّ من جانبيهِ هودجاً يجلس في الهودج ثلاثة رجال ويجلس على عنق الفيل رجلٌ يقودهُ فيكون عدد الرجال سبعة كلهم مدججون بالسلاح وعليهم الدروع من الزرد ويلبسون الفيل ايضاً درعاً من الزرد يغطي رأسهُ وخرطومهُ ويربطون بخرطومهِ سيفاً طويلاً مثل اليد سيف الخانة والعرض . والرجل الذي يجلس على عنق الفيل يأمرهُ بالتقدم او التأخر او يقول لهُ اضرب هذا الرجل او لا تضربهُ فيفهم الفيل كلامهُ كما يفهمهُ الناس . والفيل اذا هرب لا يلوي على شيء ويخاف النار كثيراً والهنود من ابرع الناس في عمل النيران والمواد الملتهبة يقذفون بها الافيال في الحرب فتنهزم منهم

وقال ان ملك تارسنجا اغنى ملك سمع عنهُ واخبرهُ الكهنة ان دخلهُ في اليوم اثنا عشر الف يوداي . وقال ان جواده يساوي مدينة من مدن ايطاليا لكثرة ما عليهِ من الحجارة الكريمة وان الملك اذا ركب للنزهة ركب معهُ ثلاثة ملوك او اربعة وكثير من الامراء ونحو خمسة الاف فارس

ثم سافر الى مدينة كلكتا فوصف عادات اهلها وملوكها وذكر الفرق التي في الهند فقال ان اصحاب الفرق الدنيئة اذا رأوا رجلاً من كرام القوم تنحوا عن طريقهِ لئلا يتنجس الجو منهم او هووا كما تهوي الكلاب وهربوا حتى يتنبه القادم فلا يستنشق الهواء النتن يستنشقونهُ . واذا مات السامري اي الملك[1] وكان لهُ ابناء او اخوة او ابناء اخوة لا يخلفهُ واحد منهم بل يخلفهُ ابن اختهِ وان لم يكن لهُ ابن اخت فاقرب اقاربهِ لامهِ . واذا مات امير من بيت الملك حلق الناس كلهم لحاهم وشعور رؤوسهم وامتنع الصيادون عن صيد السمك ثمانية ايام وهجر الملك نساءهُ وامتنع عن مضغ التنبول سنة كاملة . والهنود يستعملون التنبول منبهاً ويمضغون معهُ التوفل والكلس المصنوع من الاصداف بعد حرقها[2]

ووصف قتال اهل كلكتا فقال ان ملكهم عندهُ مئة الف مقاتل من المشاة وسلاح رجالهِ السيوف والفرق والحراب والقسي . واذا خرج الى الحرب رفعت فوقهُ مظلة في

(١) السامري لقب ملوك كلكتا وسماهُ ابن بطوطة السامري قال وسلطانها كافر يعرف بالسامري

(٢) التنبول ورق شجر من الفصيلة الفلفلية انواعها كثيرة منها (Chavica betle) وثمرها ويسمى الافرفل (Betel) . والتوفل ثمر شجر كالنخل اسمهُ (Areca catechu)

شارة الملك عندهم وتقوم مقام الراية ومتى تقابل جيشهُ بجيش العدوّ وصار على رمية سهمين منهُ خرج البراهمة الى جيش الاعداء وقالوا لهم ليبرز مئة مقاتل منكم ومئة مقاتل منا ويتمّ الاتفاق على ذلك ويخرج المقاتلون ويقفون بين الجيشين ويقتتلون ومتى قتل اربعة او خمسة من كل جانب دخل البراهمة بينهم واوقفوا القتال واعادوا كل فرقة الى جيشها فتنتهي الحرب بذلك

ولقي في كلكتا كثيرين من تجار الحجاز واليمن والشام وبلاد الترك والحبشة وهرمز وبلاد فارس وكابل وغيرها من الاماكن وقال ان الهنود قلما يسافرون بحراً فتجارة البحار كلها في ايدي العرب وفي كلكتا نحو ١٥ الفاً منهم . ثم ذكر اسماء صفنهم منها ما هو شائع عند العرب كالسنبوك والمعدية والشختور

ووصف قصر الملك والحجارة الكريمة التي عندهُ فقال يصعب عليَّ ان اقدّر ثمن الجواهر التي يلبسها وقد كان مريضاً تلك الايام والحرب مستمرة بينهُ وبين البرتغاليين فلم يكن رضيّ الخلق على انهُ كان لابساً كثيراً من الجواهر في اذنيهِ وعلى ذراعيهِ ويديهِ وقدميهِ فكانت رؤيتهُ تبهر الانظار . وعندهُ مخزنان فيهما سبائك الذهب عدا النقود وقد قال لي احد البراهمة ان النقود التي عندهُ تبلغ مئة حمل . وعندهُ ايضاً صندوق طولهُ ثلاثة اشبار وارتفاعهُ شبر ونصف شبر مملوء بالحجارة الكريمة على انواعها

ثم وصف الاقاويه والاثمار التي في كلكتا فقال ان شجر الفلفل الاسود كثير جدًّا فيها وهو شبيه بالدوالي ينمرس بجانب شجرة اخرى يتعلق بها كما يتعلق النبت المعروف بالعاشق ويتدلى منهُ عناقيد فيها حب الفلفل يكون اخضر اللون قبل جنيهِ فاذا جنوهُ نشروهُ في الشمس فيسود ويصير مثل الفلفل الذي نراهُ في بلادنا[1]

ومنها الزنجبيل وهو عروق كبيرة يستخرجونها من الارض ثم يقطعون منها عقداً صغيرة ويظمرونها في التراب فاذا مضت عليها سنة صارت عروقاً كبيرة . وهناك الاهليلج على انواعهِ

---

(١) قال ابن بطوطة في وصف شجر الفلفل ما نصهُ « وشجرات الفلفل شبيهة بدوالي العنب ولم يغرسوها الا الدارصيني فانهم يغرسون فيها صغير الدوالي الا انها ليس لها خارج وهو الغزل كالدوالي . واوراق شجره تشبه اوراق التفل وعليها بثور اوراق الطيلق وثمر عناقيد صغار اكبر قليلاً من حب الهيل قبل ان اذا كانت خضراء . واذا كان اوان الخريف قطفوهُ ونشروهُ على الحصر في الشمس كما يصنع بالعنب عند تزبيبهِ ولا يزالون يقلبونهُ حتى يستحكم يبسهُ ويسود »

وشجره قدر شجر الكثرى وحمله عناقيد كحمل شجر الفلفل[1] . ومن ثماركلكتا الشكي والبركي والانبج[2] وشجره المنجو وهم يكبسونه كما تكبس الزيتون . ومن اشجارها النارجيل وفوائده كثيرة جدًّا خشبه للوقود وجوزه للاكل ويعمل من ليفه حبال للمراكب وتسيج كالحرير يلبسونه ويستخرج من ثمره الخل والماء والزيت والسكر وتسقف البيوت بما يسقط من اوراقه . وقال ان النارجيل كثير جدًّا في كلكتا وقطعه محرم وانه اذا نشبت حرب بين ملك وآخر وقتل احدهما ابناء الآخر ربما اصطلحا بعد هذه الحرب اما اذا قطع احدهما النارجيل الذي في بلاد الآخر تحكم العداوة بينهما الى ما شاء الله

ورأى حاضر [illegible] في كلكتا لان الحرب بين ملك كلكتا والبرتغاليين اضرت بتجارة البلاد كثيراً فسافرا منها الى كولم وكان ملكها من الوثنيين وليس غنيًّا كثيرمن ملوك الهند . وقال انه رأى فيها بعض المسيحيين التابعين للقديس توما الانجيلي[3] وانه يأتيهم قسيس من مدينة بابل كل ثلاث سنوات يمكث عندهم ثلاثة اشهر ويعمد اولادهم وقال ان اسماء البعض منهم يوحنا ويعقوب ومتى وتوما وطقوسهم شبيهة بطقوس الكنيسة اليونانية . وذكر مدينة اخرى لعلها مليابور رأى فيها بعض المسيحيين ايضًا واخبروه ان قبر مار توما على مسافة اثني عشر ميلاً من

---

(١) الاهليلج (Myrobalanus) ثمر شجر هندي يعرف منه احد عشر نوعًا بعضها يؤكل واشهر انواعه البليلج (Bellirie) والاهليلج الكابلي (Chebule) والانبلج (Emblic) والاسود والاصفر ويسمى الاسود الهندي منه بالشهري ويعرف عند العامة بالهندي شهيري (٢) الشكي والبركي صنفان من الثمر ذكرهما ابن بطوطة واسمها بالانكليزية (Jaak) . والانبج معرّب انبا هو الثمر المعروف بالجور في مصر ولا يزال يعرف بالانبا والصنه في اليمن وعمان ويظهر انه قديم جدًّا في عمان قال في تاج العروس في باب نبج والانبج كاحمد وتكسر باؤه ثمرة شجرة هندية يرتب بالعسل على خلقة المخروخ محرّف الراس يجلب الى العراق في جونه نواة كنواة المخرخ فمن ذلك اشتقوا اسم الانبجات التي ترتب بالعسل من الانرج والاهليلج وغيره كذا في اللسان والاساس وهو معرّب انبه قال ابو حنيفة شجر الانبج كثير بارض العرب من نواحي عمان بغرس غرسًا ويعرّشون احدها غرسة في مثل هيئة الكرز لا يزال طولًا من اول نباته وآخر في هيئة الاجاص يحمر حامضًا ثم يطيب اذا ابنع ولها حينئذ نجمة وريح طيبة وبكبس الحامض منها ويوضع في الخباب حتى يدرك فيكون كاكلة الكرز في لذته وطعمه ويعظم شجره حتى يكون كشجر الجوز وورقه كورقه فاذا ادرك فالحلو منه اصفر والحرمنه احمر) انتهى . وذكر ابن بطوطة وسماه النبق فقال وسماه ابن البيطار الانبج وداود الانطاكي الانبا (٣) لا يزال هؤلاء المسيحيون في الهند يعرفون بمسيحي مار توما لانهم يقولون ان مؤسس كنيستهم توما الانجيلي ويرى اكثر الباحثين انهم فرع من الكنيسة النسطورية نشأ في الهند في اوائل القرن السادس للمسيح بان طقوسهم واعتقاداتهم نسطورية ويتممون الصلاة باللغة الكلدانية . وقد كان عددهم سنة ١٨٩١ نحو اربع مئة الف

المدينة ويقوم بحراسته جماعة منهم وان لهذا القبر كرامات وعجائب اخبرهم بها قيمهم

ثم ارتحل الى جزيرة سيلان ووصف الافيال وكثرتها هناك وقال ان الحجارة الكريمة كثيرة جدًّا في هذه الجزيرة منها الياقوت ويخرج من سفح جبل يبعد عن البحر نحو ميلين والارض هناك ملك السلطان فاذا اراد احد التجار ان يستخرج الياقوت ابتاع قطعة من الارض وحفر فيها ويراقبهُ رجل من قبل السلطان فكل حجر يزيد وزنهُ عن عشرة قراريط يأخذهُ السلطان وما نقص عن ذلك يأخذهُ التاجر . وقال ان على مقربة من الجبل خور فيهِ معادن البجادي اي حجر سيلان والصفير اي الياقوت الازرق والبنفش والياقوت الاحمر[1]

وذكر الفواكه في سيلان فقال انها افضل من فواكه كلكتا منها الخرشوف[2] والبرتقال. ووصف شجرة القرفة فقال انها شبيهة بالغار لاسيما في اوراقها وثمرها مثل ثمره لكنهُ اصغر

ثم ذكر جبل سرنديب وقدم ادم قال اخبرني تاجر عربي ان في رأس الجبل الذي مر ذكرهُ كهف يقصدهُ الزوّار مرة في السنة ويقيمون فيهِ الصلاة لان ادم على زعمهم اقام فيهِ ليكفر عن معصيتهِ وان اثر قدمهِ لا يزال هناك وطولهُ شبران[3]

وسافر من سيلان الى تيسرم في بلاد سيام فقال ان سلطانها من الوثنيين وعلى جانب عظيم من القوة والغنى يبلغ جيشهُ مئة الف مقاتل مشاةً وفرسانًا وسلاحهم السيوف القصيرة والقسيّ والحراب المصنوعة من عيدان القنا والدرق المصنوع من الذبل اي عظم السلحفاة وهم يلبسون دروعًا مصنوعة من النسيج المحشوّ بالقطن

وذكر الحيوانات الهائجة والوحشية فقال انها كثيرة جدًّا منها البقر والضأن والماعز والخنازير الوحشية والوعول والذئاب وقطاط الزباد والاسود والطواويس والبزاة والشواهين

---

(١) هذا يشبه كثيرًا ما ذكرهُ ابن بطوطة قال (والياقوت الهرمان العجيب انما يكون بهذه الجبلة (اي كنكار) فمنهُ ما يخرج من الحجر وهو عزيز عندهم ومنهُ ما يحفر عنهُ . وجزيرة سيلان يوجد الياقوت في جميع مواضعها وهي مملكة فيشتري الانسان القطعة منها ويحفر عن الياقوت فيجد احجارًا بيضاء منصبة وهي التي يتكون الياقوت في اجوافها فبعضها المحاكاكون فيحكونها حتى تخلق من احجار الياقوت فمنهُ الاحمر ومنهُ الاصفر ومنهُ الازرق وبحسبة البلم وعاداتهم ان ما بلغ منهُ من احجار الياقوت الى مئة مثقال فهو للسلطان وما نقص عن ذلك القيمة فهو لاصحابهِ وصرف مئة قمم سنة دنانير من اللعب ... ولقد رأيت على جبهة الفيل الابيض سبعة احجار منها كل حجر اعظم من بيضة الدجاجة ورأيت سكرجة على مقدار الكف من الياقوت

(٢) لعلهُ يريد بالخرشوف الشنة ونعرف في بلاد العرب بالشرجل المندي . وبارتيا لم يكن قد رأى منهُ الفاكهة قبلاً فساها الخرشوف لمشابهتها لهُ (٣) يسمى الكهف مغارة الخضر وقد زارهُ ابن بطوطة واقام فيهِ ثلاثة ايام على عادة الزوار ورأى اثر القدم وقال ان طولها احد عشر شبرًا

والبيغاءات المختلفة الالوان والحجال والارانب والدجاج وقال ان الدجاج كبير جدًّا عندهم وينزلون الديوك للقتال ويتراهنون على الفائز منها ورأى ديكين اقتتلا خمس ساعات بغير انقطاع ثم سقطا ميتين

ثم وصف حرق الموتى فقال انهُ اذا مات الملك او احد البراهمة حرقت جثتهُ وحفظ رمادها في قارورة . ومتى حرقوا ميتًا اضرموا النار واشعلوا فيها انواع الطيب والافاويه كالعود والبخور الجاوي والصندل والبقم والميعة والعنبر واللبان واغصان المرجان ولا يحضر احد من النساء وقت حرق الجثة غير ارملة الميت . ثم يمد بعض [illegible] يوميًّا على رفاة الزوج تودع امرأتهُ وليه لانسبائها وانسباء زوجها وتخرج معهم الى المكان الذي حرقت فيه جثتهُ ثم تلبس احسن ثيابها وتتزين بما عندها من الحلى والجواهر ويحفر لها انسباؤها حفرة على طول قامة الانسان [illegible] مقداراً كبيراً من التنبول حتى تغيب عن صوابها ثم تنهض وتاخذ في الرقص على آلات الطرب هي والنساء اللواتي يكنَّ معها وبعد ان ترقص زمنًا تجري مسرعة الى النار وتلقي نفسها فيها وتفعل ذلك عن طيب خاطر ظنًّا منها انها ذاهبة الى السماء فمتى القت نفسها في النار اخذ انسباؤها يرمونها بالخشب والزفت ليسرعون موتها حتى لا تتعذب . والمرأة التي لا تحرق نفسها بعد وفاة زوجها تعد بغيًّا ويقتلها اهلها . وهذه العادة اي حرق الجثث متبعة عند اشراف البلاد فقط والباقون يدفنون دفنًا

وسافر من تنيسريم الى مدينة ملقة وهو اول من كتب عنها من الاوربيين ثم انتقل الى سومطرة وجاوى وغيرها من جزائر المحيط الهندي وعاد الى كلكتا واقام فيها زمنًا تظاهر فيه بالتقوى والصلاح وصار الناس يتبركون به واتخذوهُ اماماً لاحد المساجد ثم احتال على رفيقهِ الفارسي وهرب الى حصن من حصون البرتغاليين واخبرهم باستعداد العرب والهنود للحرب وكانت الحرب ناشبة بين البرتغاليين وملك كلكتا وانصارهِ من العرب فشهد بعض المواقع التي جرت بين الفريقين برًّا وبحرًا ثم سافر في مراكب البرتغاليين الى سقطرى ومنبسة وموزمبيق ومنها الى بلاد البرتغال على طريق رأس الرجاء الصالح فنحهُ ملك البرتغال رتبة الفرسان لانهُ ساعد البرتغاليين في حروبهم مع العرب والهنود ثم استأذن الملك وسافر من بلاد البرتغال الى مدينة رومية وهي مسقط رأسهِ فكتب رحلتهُ هذه ونشرها سنة ١٥١٠ وجهل امرهُ بعد ذلك

التربية

وهي خطبة للسيدة فيبه مانم القيتها في الجامعة المصرية

حياة الامم رجالها ونساؤها ولا رجال ولا نساء الا حيث الاجسام الصحيحة والآداب الراقية وهذان الامران لا يتجهان الا بالتربية القويمة لان التربية هي التي تعين الطبيعة على انماء قوى الولد الجسدية والعقلية وتصونهُ من امراض الجهل الفتاكة واخطار الاهمال الكثيرة وتكسبهُ فوق ذلك من قوة البدن ومتانة الاخلاق وحسن الاختيار ما يؤهلهُ لان يكون عضواً نافعاً في الهيئة الجامعة

ومن منا نحن النساء لا تحب ان ترى ولدها (سواء كان صبياً او ابنةً) في مقدمة ذوي الشرف والاستقامة والمقامات العالية ومن اصحاب الفضل والصلاح والاحسان

اجل ان كلاً منا ترغب في ذلك وتتمناهُ ولكن قليلات من اللواتي يساعدهن حسن الطالع على احرازهِ واذا قُدّر لهنَّ ذلك اي اذا قدّر ان يكون لهنَّ اولاد محمودي الخصال فذلك اتفاقاً او بتغلب الخير في سليقة الاولاد وليس بفضل الامهات وعنايتهنَّ

اقول ذلك وانا لا اجهل مبلغ آداب نسائنا وصفاء قلوبهنَّ وانهنَّ ابعد نساء العالم عن المنكرات واكثرهنَّ تمسكاً باهداب الفضائل والمبرّات على ان ذلك لا يكفيهنَّ لمعرفة كيفية الاعتناء بصحة اولادهنَّ وارصان اذهانهم اذ أن التربية علم واسع بل بحر زاخر لا يستطيع المرء خوض غماره بمجرد كونهِ فاضلاً وادبياً بل من الواجب ان يتعلمهُ علماً ويقف على كنهِ اسرارهِ حتى يستحق ان توكل اليهِ العناية بالاولاد اولئك الصغار الذين يصبحون يوماً ما رجال المستقبل ونساؤهُ وان صعوبة هذا العلم وعظم اهميتهِ مع عدم تمكّن الوالدين من معرفتهِ قد دفعت الافدمين الى اقامة المربين والمعلمين للاولاد وحذت حذوهم الشعوب الاوربية والاميركية في الاعصر الاخيرة فاعتنت بامر التربية اعتنامها بسائر العلوم او اكثر فازدهت بلادها وتقدّم شعبها تقدّماً باهراً

اما نحن فاننا لا نزال حتى الآن رجالاً ونساء نجهل قواعد التربية ولم يخطر لرؤساء مدارسنا الاهتمام بها ولا اكتبت كتابنا يوضع مصنف وافٍ لتعليم الوالدين فن تربية الاولاد حتى ان سيدات نا مع ما بلغنا اليهِ من المعارف وسعة المعارف وما اشتغلوا بهِ من العلوم والفنون

قد اغفلوا فن التربية ولم يثبتوا شيئاً من قوانينه في مصنفاتهم ولا يزال هذا العلم مهملاً حتى يومنا الحاضر

ولكن املنا بهمة صاحب الدولة رئيس الجامعة المصرية ورجال ادارتها الافاضل ان يعنوا بامر التربية عنايتهم بسائر العلوم التي تدرّس في هذا المعهد العلي فينشئوا فرعاً خاصاً لتعليم المعلمين قوانين التربية التي يجب ان يجروا عليها في معاملة الطلبة والاعتناء بصحة اجسامهم واخلاقهم في جميع المدارس . وما ذلك ببعيد على رجل الغيرة والفضل رجل الهمة والاقدام رجل الوطنية الصادقة رجل الخير رجل العمل مثال الجد والنشاط صاحب الدولة البرنس احمد فؤاد باشا حفظهُ الله وامدهُ بمعرفته الصمدانية لاتمام مقاصده الشريفة وتنفيذ اعماله العظيمة التي طلعت تباشير فوائدها على الامة المصرية وانتشر شذا محاسنها في سائر الاقطار العربية تذيع محامد مولانا عزيز القطر سمو الامير المعظم عباس حلمي الثاني خديوي مصر وسمو ولي عهده الكريم الامير عبد المنعم رئيس الشرف على هذا المعهد العلي العظيم . اجل ليس ببعيد على غيرتهم العظيمة وكمالهم العالية ان تبلغ يوماً بآمالنا ما نرجوهُ من تحسن حالنا على انهُ وان تمّ لنا ذلك وبلغ منها جوُّ مدارسنا اعلى منزلة من التربية فذلك لا ينقص من واجبات الوالدين نحو اولادهم ولا ينبغي عن الاهتمام بهم في الصغر اي قبل دخولهم المدرسة وفي الكبر اي بعد خروجهم منها وفي ما بقي من الفترات التي يقضيها الولد الى جانب والديه بعيداً عن اساتذهِ

ولما كانت الام اكثر ملازمة للولد كان امر تربيتهِ موكولاً اليها ولاسيما في دور الصغر وهو الدور الذي يكون فيهِ عقل الولد على اشد مرونته وقابليته للتكيُّف والتأثر بكل المؤثرات الخارجية فمن الظلم اذن ان تكون الام جاهلة قوانين التربية لانها تسيء بذلك اكثر على ابنها مما تطبعهُ في ذهنهِ من المبادئ الفاسدة والاعتقادات السخيفة التي يصعب ان لم نقل يستحيل نزعها بعد ذلك

ولكي يتضح لنا ذلك جلياً لنتصور طفلاً بين يدي ام جاهلة يشكو من الم المغص او التهاب الحلق او الحمى فتعلق تلك الوالدة في عنقهِ الحجب وتعمل لهُ التعاويذ او تجزرهُ بالملح واذا رقد تضع حول رأسهِ اللفائف وتترك الاقذار والاوساخ تتراكم على عينيهِ اعتقاداً بان غسلها مضر بهما فاذا كُتبت لهذا الطفل الحياة وبقي لهُ شيء من قوة البصر شب بين اثنتين ان كان من طائفة الاغنياء او ترك في وهاد الاهمال ان كان من الفقراء وفي كلا الحالين لا

يطرق سمعهُ الاَّ الاحاديث الملفقة والحكايات الخرافية وقصص الجان والعفاريت فضلاً عن الشتائم والاكاذيب فكيف تكون يرتكن حالة هذا الطفل صحيًّا وعقليًّا . لا شك أنها تكون حالة تعيسة جدًّا متى شب على هذه التربية الفاسدة فلا يرى بعد ذلك ان تصلح المدرسة ما فسد من آدابهِ ولقوم ما اعوج من أخلاقهِ اذا تأتى للاستاذ ان يؤثر في ذهنهِ المتشبع بالجهالة والفحة والبلادة والضلال

لا ريب ان السنين التي يقضيها في المدرسة لا تكفي على طول مدتها لنسخ تلك المبادىء الخرقاء التي رسخت في طبعهِ وحل قيد الجهل والخنى الموضوع حول عنقهِ ولذلك يخرج من المدرسة وهو لا يفرق عمَّا كان عليهِ وقت الدخول اليها الاَّ بمعرفة قواعد العلوم ومبادىء اللغات التي يشحن بها دماغهُ شحنًا دون ان يستفيد منها ادبًا وهو مطابق لقول الشاعر

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

فاذا علمنا ذلك كلهُ ورأينا بعض شبابنا وبناتنا من خريجي المدارس يأتون احيانًا اعمالاً واقوالاً تدلُّ بفسادها وسخافتها على انهم ليسوا ارقى عقلاً من الجهلة الاميين والسوقة المتشردين لم يبقَ لنا سبيل للتعجب منهم كما لم يكن لنا حق للومهم لانهم ابناء وبنات تربيتهم وما تلك الهيئات التي نشاهدهم عليها في الطرق والمتنزهات الاَّ صور معكوسة عن اخلاق امهاتهم

ولعمري اني لم ارَ عظة ابلغ من عمل ذلك المجرم وقد اقتيد للقتل اذ مال على والدتهِ فقطع لسانها اعتقاداً بانهُ كان السبب في وصولهِ الى المشنقة وذلك بما كانت تلقيهِ عليهِ من احاديث الكذب والرياء وما كانت تبثهُ فيهِ من روح الشرور والمعاصي حتى أصبح بفاسد تعاليمها وشر ارشاداتها اثَّاكاً قاتلاً ولصًّا شريراً وبالحقيقة ان مثل هذا لا يسمى مجرمًا بل شهيداً شهيد الجهل شهيد التربية الفاسدة وما المجرم الحقيقي الذي يستحق الشنق سوى تلك المرأة التي قضى شؤم الطالع على ابنها ان تكون لهُ اما

اجل ان الام على شدة حبها لولدها وعطفها عليهِ هي التي تسلبهُ قوة جسدهِ وبهاء طلعتهِ وهي التي تقودهُ الى ظلمات السجون وتجرهُ الى حبل المشنقة ... كما انها هي التي ترفعهُ الى اسمى مراقي الكمال

هذا ما جعلتهُ مقدمة الموضوع الذي عزمت على البحث فيهِ والتبسط في فروعهِ واسرارهِ فلننتقل منهُ الى

المطلب الاول في غاية التربية

ان التربية على غايتها انما الخلال الحسنة التي في جبلة الولد واستئصال جراثيم الشر منها على قدر الطاقة لان من الصفات الموروثة ما يكون راسخاً في طبع الولد رسوخاً لا يمكن المربي نزعهُ مهما بذل من انواع السياسة في معاملتهِ وضروب الحنكة في التربية ولكنهُ لا يستطيع في الغالب ان يلطفها او يحولها الى غايات شريفة حسنة العواقب . مثال ذلك اذا كان من طبع الولد العناد والتصلب في الرأي فباستطاعة المربي ان يداوي علة تصلبهِ بتعويدهِ الحذر والتروي في الامور قبل البت فيها بحيث لا يكون في اصرارهِ ما يعود عليهِ بالضرر والندم

والتربية قائمة على نوعين اولها تربية البدن بموجب القوانين الصحية وثانيهما تهذيب العقيدة بحسب النواميس الادبية . ويجب ان يسير هذان النوعان عن يمين الولد وعن شمالهِ بخطوات متطاولة من حين ولادتهِ الى ان يبلغ اشدهُ فان بدا تقصير في احداهما فاتت الفائدة المقصودة من التربية وكان مثل الولد مثل من يمشي على رجل واحدة . الستا نرى كل يوم كثيرين من ذوي البنية القوية والاجسام الصحيحة كالفرويين مثلاً يقضون حياة طويلة وهم لا يفرقون عن حيوانات الثقل لشكل معيشتهم واقتصارهم من دهرهم على كسر يجلبونها واكواخ يأوون اليها . اولستا نرى ايضاً كثيرين من الاولاد الاذكياء الذين توفرت لهم وسائط التعليم والتربية الادبية يعيشون مقام الاجسام ضعيفي القوى عاجزين عن ادراك كثير من الاماني التي يتمتع بها اترابهم وكانوا جديرين بها لولا ما فاتهم من صحة البدن وقوة العضل . نعم ان من الامراض ما هو موروث كبعض المناقب والشوائب لا يمكن شفاؤهُ بمجرد العناية الجسدية على ان كثيراً ما يكون مرض الاطفال وموتهم مسببين عن جهل الامهات قوانين الصحة فانهُ يستدل من الاحصاآت الرسمية ان عدد الوفيات يزداد في الاطفال زيادة مطردة على نسبة تأخر الامة وجهلها قواعد التربية الجسدية . وليسوُغنا القول ان معدل موت الاطفال في القطر المصري اكثر من سائر اقطار العالم وفي ذلك دليل واضح على ان فن التربية مجهول عندنا تماماً

ولا غرو فنحن نرى فتياتنا وشباننا يقدمون على الزواج وكلهم يجهل الواجبات الوالدية تمام الجهل فالشاب المتعلم لا يعرف سوى قواعد العلوم التي التقطها في المدرسة او الصناعة التي يشتغل بها للقيام بمعيشتهِ والفتاة اما ان تكون امية جاهلة او عارفة بالتطريز والعزف على البيانو والتكلم بلغات الاعاجم فاذا ما رزقا اولاداً حارا في كيفية تربيتهم وتهذيبهم واخطا

يخبطان لم خبطاً قد يودي بحياتهم ويفسد اخلاقهم حتى اذا مات احد منهم قالا هذا عمره

ومن عاش سقيماً سيئ الخلق ردئ السيرة قالا تلك قسمة وهكذا يقتل الآباء والامهات اجساد اولادهم ونفوسهم وآدابهم بقلة اختبارهم وتعرضهم لهمة لم يسبق لهم علم بها ولم يستعدوا لها. من العجب ان ما منهم من يتعاطى عملاً او صناعة او حرفة مهما كانت بسيطة قبل ان يتقن فعلها اولاً فالمحامي لا ينصب نفسهُ للمحاماة قبل ان يدرس علم الحقوق والفلاَّح لا يتعاطى فن الزراعة الاَّ وهو على علم او على بعض العلم بخصائص المزروعات وقابلية الارض وتأثير السماد الى غير ذلك من الاختبارات الزراعية وهكذا التجار والحداد والخياطة والمرضة وسائر الصناع والمستخدمين فانهم لا يتعاطون مهنة دون ان يتعلموها اولاً اما الآباء والامهات فانهم يتولون امر التربية ويسنون لاولادهم شرائع تجري قواعدها على اجسادهم واذهانهم وهم لا يدرون شيئاً من قوانين الصحة والتربية الادبية

هذا ما دعاني الى اتخاذ التربية موضوعاً للبحث ممكن ايتها السيدات الفاضلات عسى بذلك نهتم في ايجاد وسائل لتحسين التربية في المدارس وتعليم الفتيات قوانين الصحة وقواعد الآداب الصحية حتى اذا اصبحن يوماً امهات يدركن ما عليهن من الواجبات الوالدية فيرتقي بذلك مجتمعنا ويصلح شأن افرادنا باصلاح التربية العمومية وتهذيب اخلاق الناشئة على قواعدها الصحية

ومعلوم انا في عصر انتشرت فيهِ آيات المدنية الاوربية على ما فيها من المساوىء الكثيرة التي يجهر بها الغربيون انفسهم والتي كنا في مأمن من اخطارها في عصور الجهالة الماضية فاصبح من الواجب على الام حتماً ان تسهر على بنيها وبناتها بعين التيقظ والاهتمام وترشدهم الى السبل القويمة وتنشئهم على اصول الآداب الراسخة والاخلاق الصالحة التي لا تؤثر فيها عواصف الاهواء واعصار التقاليد جاعلة اساس تربيتها الشرف الصحيح والصيت الحسن اللذين اذا رسخا في امرء هان عليهِ كل عزيز في سبيل صيانتهما

وما اجمل ما وقع تحت بصري في احد المؤلفات من ملحة حكمية انقلها ليكن تفكهة وذكرى. زعموا ان الماء والنار والصيت الحسن اصطحبوا مرة ثم ارادوا الافتراق فقالوا ليجعل كلٌّ منا لنفسهِ علامة تعرفهُ بها اذا طلبناه فقال الماء انا اكون حيث تكون الخضرة وقالت النار وانا اكون حيث يكون الدخان وقال الصيت الحسن اما انا فان من يفقدني فلا يجدني ابداً

اننا نجد في هذه الملحة امثولة حسنة يجدر بالامهات تكرارها على مسامع ابنائهن وبناتهن

حتى ترسخ في اذهانهم وتجعل فيهم استعداداً لاقتحام لجة الشبيبة على ما فيها من الاخطار دون ان يلحق باجسامهم وآدابهم امراض واضرار

والتربية تتناول ادوار الحداثة والصبوة والكهولة وهي انما تتم في ثلاثة انواع النوع الاول « التربية الوالدية » وهو يأتي في زمن الطفولة والحداثة والنوع الثاني « التربية العلمية » وهو يتناول زمن الصبوة والنوع الثالث « تربية المرء نفسهُ بنفسهِ » وهذه تمتد بقدر استعداد المرء للاكتساب من مخالطة الناس ومعاشرتهم . وسأبحث في كل نوع منها على قدر الاستطاعة على اني قبل الولوج في الموضوع ابسط لمحة عن حالة الوالدين وما يجب عليهما اتباعهُ لدى اولادهما بحيث يكون مقامهما محترماً لديهم واوامرهما مطاعة منهم وتعاليمهما وارشاداتهما مفيدة لهم

المطلب الثاني في الوالدين

رأى احدهم ولداً في طريقهِ فاجتذب نظرهُ اليهِ ما رآهُ فيهِ من امارات الطيش والنزق وما كان يقذف بهِ اخوانهُ ورفقاءهُ من الشتائم والسباب وما يرمونهم بهِ من الحجارة فاقترب منهُ وسألهُ ما اسمك فاجابهُ « شيطان » قال وما اسم ابيك اجاب « شيطان » قال وما اسم امك قال « شيطانة » قال وكيف ذلك قال الولد اني اسمع ابي يدعو اي شيطانة واي تسميهِ شيطاناً وكلاهما ينادي يا شيطان

ولا بدع فان الابوين هما اصل الاسرة ومن البديهي ان على الاصول يثبت الورق فلا يرجى من الشوك عنب ولا ينتظر من الشياطين رجال بل كما يكون الابوان يشأ الاولاد ولذلك فمن اول واجباتهما ان يحترم الواحد الآخر ويعاملهُ باللطف والمعروف حتى يشبَّ الاولاد على احترامهما كليهما . هذا مع وجوب المحافظة على كل لفظة واشارة وحركة تبدر منهما ولا سيما بحضرة الاولاد فلا يدعانهم يقتبسون عنهما ما لا يوافقهم من العادات والاخلاق فان ذهن الولد اشبه باسطوانة الحاكي (الفونوغراف) فهو يلتقط كل شيء يراهُ او يسمعهُ او يشعر بهِ وخصوصاً اذا كان ذلك الشيء صادراً عن والديهِ لما لهُ من الثقة العظيمة بهما فضلاً عن مخالطتهِ اياهما وحدهما في زمن الصغر فهما والحالة هذه المثال الاكبر الذي يتخلق الاولاد بذكرهِ وينسجون على منوالهِ وعليهِ فالقلمُ ما يلامس اعمال الوالدين من الخطاء والغلط ينتقل على صورتهِ الى اذهان الاولاد ويعدُّ ما ذنب لا يغتفر بل يعاتبان عليهِ في مستقبل الايام وذلك حينما يأتي زمن الحصاد . زمنٌ يجني فيهِ الآباء ثمار الحياة التي قضوها

في سبيل تربية الابناء .... ويالها من ساعة رهيبة تتفتت لهولها الاكباد . ساعة يعودون فيها من اولادهم باطيبة والفشل ومن الانسانية باللعنات

ومن افظع الاغلاط التي يرتكبها الزوجان ان يلوم احدهما الاخر بحضور الاولاد على هفوة اتاها او بادرة بدرت منهُ فان ذلك يقلل من وقارها وينقص من ثقة الاولاد بهما . وعلى الوالدين ايضاً ان يكونا باشي الوجه طلقي المحيا يعاملون الاولاد معاملة تتراوح بين الشدة واللين بحيث يكونان في كلا الحالين محبوبين منهم ومطاعين في آنٍ واحد لان الطاعة من اهم اركان التربية ولكنها اذا كانت ناتجة عن خوف الولد من مربيهِ فهي قلما تفيدهُ لان تأثيرها لا يتجاوز ظاهر اعمالها . فاذا ما حانت لهُ فرصة غياب مربيهِ او غفلة منهُ داس القانون الذي وضعهُ لهُ غير هيَّاب ولا وجل ولا خير في عمل يأتيهِ الانسان مرغماً

والانكليز من هذا القبيل اقدر الامم على اقياد الاطفال بالرفق والحب الى دائرة الطاعة . حدثني بعضهم قال : ذهبت مرة لزيارة احدى الاسر الانكليزية فابصرت لدى دخولي اين صاحب البيت وعمرهُ خمس سنوات وكان واقفاً على بعض خطوات مني فجيئهُ فرد تحيتي بمثلها من بعيد ولم تكن تلك عادتهُ فسألتهُ ان يقترب مني فابى معتذراً بان امهُ امرتهُ ان لا يتعدى الخط الذي امامهُ قال ذلك واشار الى خط اسود يفصل بين قطع الرخام قال فسررت من طاعتهِ واثنيت على ادبهِ

فمن مِن اولادنا يطيع والديهِ مثل هذه الطاعة التامة التي تعود عليهم بالفائدة وعلى الامهات بالراحة

ولكي تستتب السلطة للوالدين ويجتذبا اليهما قلوب الاطفال يجب ان يظهرا بمظهر العدل والانصاف ويلبسا لكل حالة لبوسها أي أن يستعملا الشدة واللين حينما يكون الاولاد مذنبين وفي غير ذلك من الاوقات ينبغي ان يعاملاهم معاملة اصدقاء واقران . ولا بأس من مباسطتهم وملاعبتهم واهدائهم اشياء تسرهم حتى اذا عوقب الولد يوماً بحرمانهِ تلك الملاطفة والملاعبة يشعر بنغص وألم وقد يكون في امتناعها مرة عن تقبيلهِ ما هو اشد تأثيراً فيهِ من العقاب والضرب

على ان بعض الآباء يزعمون ان التربية تكون باظهار العنف والقسوة والتلبس بالخشونة والعبوسة فيُرى الاب منهم مقطب الجبين في منزلهِ كأنهُ آلة للانتقام او مثال للارهاب فيجتنبهُ الاولاد ويتوارى كل منهم في زاوية خوفاً منهُ ورهبة من غضبهِ لا احتراماً لهُ لوجاهٍ بهِ وهذا ما يخالف قوانين التربية

يحكى عن جلالة امبراطور المانيا انهُ على سعة ملكهِ وعظم جبروتهِ وما عرف عنهُ من القسوة في معاملة اولادهِ والتدليق في تربيتهم كان يلاعب اطفالهُ وانثًا في ساعات فراغهِ من الاعمال وكثيراً ما كانوا يضعون في فمهِ لجاماً و يساقونهُ كالجواد فيركب احدهم على ظهرهِ ويعمل الاخر فيهِ السوط وهو يمشي على الاربع مقلداً بذلك الحيوانات بالرقص والتهيق واطفالهُ من حولهِ يقهقهون مسرورين

وبشاشة الوالدين في وقت الرضى بمثابة مكافأة للاولاد على صلاحهم كما ان استعمال القسوة والصرامة ضروري في تأديبهم وكلا الامرين لازمٌ في موضعهِ

ولا يخفى ما للاطفال من رقة القلب ولطف المزاج وسرعة التأثر فلا يحسن بالآباء ان يكاشفوهم مصائبهم او يفاجئوهم بما يُثير مكامن سرورهم او حزنهم بل ان يتجلدوا لهم على ما يكرهون و يتركوهم في بحبوحة الصفاء يرتعون . ومن الخطاء الفظيع اهمال اكثر اغنيائنا تربية اولادهم وتعليمهم بانفسهم اعتقاداً منهم ان ما جمعوهُ من الثروة والتي يكفيهم مؤونة العلم والتربية فيكل الاب شؤونهم للام وهذه تسلمهم لعناية الخدم وقد فاتهم ان المال وحدهُ لا يصير رجالاً ولا نبهاء بل قد يكون معواناً للجهلة على الشر لانهُ يساعدهم على اتباع اهواء النفس والنفس امارة بالسوء فضلاً عن ان عيشة الكسل والرخاء من شأنها ان تصغر الهمة وتحط العزيمة فيشب الولد على الترف والتنعم معتقداً بدوام الحال فاذا جاء وقت اضطر فيهِ الى العمل لم يكن ذا نشاط وذكاء بل يظل يتخبط في حياتهِ تخبطاً يستهلك على الغالب ثروتهُ وتنقضي بهِ الحال الى الفاقة والمسكنة والذل . وعلى الجملة فان من أول واجبات الابوين ولاسيما الام التي هي رفيقة الولد ان تكون قدوة حسنة لاولادها لا تأتي ما تريد صرفهم عنهُ ولا تنهاهم عن أمر وتأتي مثلهُ ولا تعدهم بشيء ثم تنكث بوعدها فانها بذلك تعلمهم الكذب والاخلاف ولا تأمرهم بطول الاناة والحلم ثم تسخط عليهم لاقل هفوة ربما لا تستوجب الغضب فيتدربون على الحدة والتبرم وسوء الخلق . ومتى عرف الابوان كيف يمكنان طباعهما و يحافظان على مقامهما في الاسرة زال معظم الصعوبة من امامهما ودانت لهما نفوس الصغار فيصبح في وسعهما حينئذٍ ان يبثا فيهم روح الفضائل والميل الى العمل والاقتصاد والاستقلالية والخشونة وبذلك يجدان فيهم يوماً رجالاً ذوي جدّ ونشاط يعملون على خيرهم وخير اخوانهم في الانسانية و يخلصون الخدمة لوطنهم العزيز الذي لا تقوم لهُ قائمة الاَّ بامثالهم ونساء متدينات متثقفات قادرات على ارضاع الاولاد لبان الآداب الصحيحة فيفاخران بهم و يعتزان بآدابهم وفضائلهم

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فلفضاء ترغباً في المعارف وانهاضاً لهممهم وتحبباً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن مبرأ منه كلّه. ولا تدرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والنظير مختلفان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف الغلاط غيرو عظيماً كان المعترف بالغلط اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

الجذب والدفع والمد

استاذي منشئ المقتطف

تلوت ما جاء في المقتطف الاغر عن رسالتي «الجاذبية وتعليلها» من اسناد الخطإ الى هذا التلميذ فاقول ايها الاستاذان الجليلان لا يبعد كوني مخطئاً في رأيي الذي يخالف رأي جميع الفلاسفة المبرزين في هذا العصر ولكني لا أرجع عنهُ الاّ بعد ان يثبت علماء العصر وفي مقدمتهم حضرة الاستاذين الجليلين فساد مذهبي بالبرهان

اما قول المقتطف الاغر لاثبات خطئي «لان نواميس الجاذبية مثبتة بالامتحان» فلا يصادمني لاني لا انكر ما ثبت للعلماء بالامتحان من حركة المادة الى المادة على كيفيات ثابتة لا تتعداها بل الذي انكرهُ واصرُّ على انكاري اياهُ هو كون هذه الحركة اثر جذب المادة للمادة. بل الحق عندي هو ان المادة تدفع المادة بما ترسلها من القوى وان هذا الدفع لهُ نواميس هي مثل ما يثبتونهُ للجاذبية فالاجسام انما تقع على الارض مثلاً لان اجرام السماء تدفعها اليها دفعاً هو اقوى من دفع الارض لها. وانما لا تتحرك هذه الاجسام الى غير جهة الارض لان الدفع من الجهات الاخر متساوٍ يتعارض فلا يظهر لهُ اثر واما الارض فهي لكونها تحجب دفع اجرام السماء من جهتها لا يصل منها هذا الدفع الى الجسم الساقط ليعارض دفع اجرام السماء التي وراء الجسم ولذلك لا يجد الجسم بدّاً من السقوط عليها. ولما كانت جبلة الارض بين دفع السماء من جهتها وبين الجسم الساقط المدفوع من السماء في الجهة المقابلة هي السبب لحركته كانت هذه الحركة متناسبة مع مقدار مادة الارض فكلما كانت المادة كبيرة كانت حيلولتها لقوى السماء من جهتها اكثر فكان اندفاع المادة الصغيرة اليها اشد.

وهذا ينطبق على الارض وعلى سائر اجرام السماء بل وعلى كل جزء من اجزاء المادة بجواهره اكثر من جواهر غيره

والامتحان الذي اجراه العلماء للجاذبية يثبت حركة الاجسام الى الاجسام فقط ضمن نواميس مقررة لاجذب الاجسام للاجسام . والظواهر الطبيعية كما تدل بجذب المادة للمادة كذلك تدل بدفع المادة للمادة على الوجه الذي شرحته في رسالتي فليس لنا امام هذين الرأيين الا ان نقبل ما كان الاعتراض عليه قليلاً وانطباقه على الحوادث كثيراً . اما قبول الجاذبية فلا يوجه به كون المدّ الشمسي اقل من المدّ القمري توجيهاً يمسح كل ريب ولا كون الجذب عند القطب اكثر منه عند خط الاستواء

اما الاول فلان الثابت ان مادة الشمس اكثر من مادة القمر على نسبة ٨٠٠ ، ١٨٠ ، ٢٥ الى واحد فالواجب ان يفوق مدّها مدّ القمر وان كان القمر اقرب منها الى الارض ولكن الواقع خلاف ذلك فان مدّ الشمس اقل من مدّ القمر وهذه القلة توجه بحسب مبدئنا القائل ان الشمس تدفع ماء المدّ المدفوع من الارض اكثر من دفع القمر له

واما الثاني فقد ظهر للعلماء بالرقاص ان وزن الجسم على خط الاستواء يقلّ عما هو عند القطب $\frac{1}{193}$ وقد تبرهن ان الخسارة بالقوة الدافعة هي $\frac{1}{289}$ فيبقى منها $\frac{1}{578}$ لا يعلل عنها بهذا السبب فنسبوه الى الهيئة الهليلجية التي بها يصير خط الاستواء ابعد من القطب عن المركز

وانتم تعلمون ان المادة كلما كثرت كثر ميل الجسم الى الحركة اليها فلو توقفت الارض عن الحركة اقتضى ان يكون الجسم على خط الاستواء اثقل منه على القطبين اما هذا فلا يعلل بالجاذبية العامة ولكن يعلل ببدإ الدفع فان الثقل على هذا المبدإ هو دفع السماء للاجسام ولكن الارض لما بذاتها دفع كانت بحركتها كذلك دفع والمادة على خط الاستواء من الارض اكثر منها على القطبين فالجسم يحتمل بعض ثقله على خط الاستواء بسبب الدوران وبعضه بدفع المادة لانها في الخط الاستوائي اكثر منها في القطبين

وقالوا خطران الرقاص يزداد سرعة بالتقدم الى ناحية القطب لان القطب اقرب الى المركز من خط الاستواء كان القرب الى المركز سبب لقوة الجاذبية وهو صحيح الا ان التعليل غير صحيح والحق ان دفع الارض للرقاص على خط الاستواء اشد من دفعها له على القطبين لزيادة مادته ليقاوم هذا الدفع قليلاً من دفع السماء

قد لعمري عرفنا الظواهر فقلنا ان المادة جاذبة كما عرفت القائلين بحركة الشمس حول

الارض عصوراً كثيرة وعما زادنا ثبتاً في زعمنا هو قبول جميع علماء العصر لوجود الجاذبية فاقول اليس من الممكن ان يكون علماء عصرنا مخدوعين بالظواهر

واني لعلى يقين ان المستقبل سوف يؤيد رأيي هذا وان عامة العصر الحاضر كيف لا والقول ان المادة جاذبة دائمة في وقت معاً هو اجتماع للضدين ما ادري كيف يتسع به حضرة الاستاذين ثم انهما كيف يتصوران صدور قوة من المادة يسمونها الجاذبية ترجع بما تصادفهُ في طريقها والمعقول من القولين هو انها اذا صادمت شيئاً دفعتهُ

أما اذا قبلنا ان الاجسام تدفع اي انها تشع قوة تدفع المادة التي تصادفها في طريق سيرها فانا نعلل كل ظاهرة من ظواهر الكون كما سوف ابسطهُ اذا سمحت لي الصحة ولكن اذا قلنا بالجاذبية فلا نعلّل الاَّ بعض الظواهر وهو بعيد عن العقل بعد دوران الشمس حول الارض

من ذا يستطيع ان يتصور قوة للجذب اذا وصلت في طريق سيرها الى جسم جرتهُ وهل ترجع القوة نفسها مع المجرور ام هي تجرهُ وتذهب في سبيلها . اما رجوعها معهُ فلا يعقل واما جذبها لهُ ومضيّها فابعد من الاول والمشاهد ان القوة اذا سارت الى جهة وصادفت في طريقها شيئاً فان كان المصادَف اضعف منها دفعتهُ وان كان اقوى رجعت عنها القوة لا ان القوة ترجع وتجرّ المصادَف معها او انها تجرهُ وتذهب في طريقها . ولنفرض انها بسبب ممانعة الجسم ترجع فما معنى رجوع الجسم معها الى مصدرها

انا اقول ان الاجسام تتحرك بقوة تدفعها من ورائها واصحاب الجاذبية يقولون انها تتحرك بقوة تجذبها من امامها وانا اقول ان النجوم التي نراها في الليل لها تأثير كبير فينا هو دفعها الينا الى الارض واما غيري فيقول لا تأثير لها الاَّ ما نشاهدهُ من ضوئها فاي القولين اقرب

ومن دلائل هذا الدفع افلات الكهربائية من رؤوس المادة الحادة لان الدفع السماوي عليها ضعيف فلا يعارضها كثيراً ومنها ان الاجسام تضغط بثقلها على الارض وهذا الضغط قوة تأتيها من فوق فتجري فيها نازلة الى الارض من تحت . واذا دفع الانسان ثقلاً ضاغطاً على الارض فانهُ يزيد هذا الضغط وهو دليل على ان الضغط الاول وهذه الزيادة من نوع واحد هو دفع السماء للاجسام من ورائها الى الارض

فبذا لو اعاد المقتطف الاغر نظرهُ العميق الى رسالتي « الجاذبية » لنشر مقالة تبسط الحوادث التي تصدم رأيي هذا الذي تجاسرت على ابدائهِ فاكون لهُ من الشاكرين

جميل صدقي الزهاوي

[المقتطف] ليعذرنا صديقنا الكاتب الفاضل اذا نصحنا لهُ ان يترك البحث في هذه المواضيع فانا نعترف ان تصوراتهِ الفلسفية وادلتهُ العقلية من الطبقة الاولى بين التصورات والادلة ولكن ذلك كلهُ لا يجعلهُ حاسباً ولا مهندساً ولا طبيعياً لان لعلوم الحساب والهندسة والطبيعة مبادئ لا تعلم بالفلسفة والمنطق . ومع ذلك فانهُ اذا سلّم لنا بالحقيقتين الثالثتين فقد لا يتعذر ان تقنعهُ بفساد المذهب الذي ذهب اليهِ

الحقيقة الاولى ان كل قوة تنتشر من جسم الى ما حولهُ سواء كانت جاذبة او دافعة تنقص كربع البعد عنهُ . فاذا صدرت من الجسم وانتشرت حولهُ في كل الجهات واصاب الذراع المربع منها على بعد باع رطل اصاب الذراع المربع على بعد باعين ربع رطل وعلى بعد ثلاث باعات تسع رطل وعلى بعد اربع باعات ١٦ من الرطل وهلم جرًّا

الحقيقة الثانية ان النجوم الثوابت التي نظن انهُ يضيئها حينما يقول السماء بعيدة عنا بعداً شاسعاً جدًّا القريبة الينا لا يصل النور منهُ الينا في اقل من ثلاث سنوات مع ان النور يقطع نحو مئتي الف ميل في الثانية من الزمان وبعدها لا يصل النور منهُ الينا الا في الوف من السنين وعدد هذه النجوم او الكواكب نحو الف مليون كوكب فاذا فرضنا ان كل كوكب منها شمس مثل شمسنا حجماً وانها اجتمعت كلها في متوسط بعدها عنا وكان هذا المتوسط على بعد مئة سنة فقط يسير النور وكانت كلها على جهة واحدة من الارض لم يضئنا من قوة جذبها او دفعها الا ما يساوي جزءًا من خمسة واربعين الف جزء من جذب الشمس او دفعها اي تكون نسبة فعلها الى فعل الشمس كخمسة دراهم واحد الى تسعين اقة ومع ذلك هي متفرقة حول الارض في كل جهة ودفعها متقابل فيزيل بعضهُ بعضاً

فاذا كانت الشمس في الهاجرة مثلاً وكان جسم فوق الارض يبعد عن سطحها قدماً واحدة فيكون دفع الارض لهُ اكثر من دفع الشمس لهُ ١٥٠ مليون مليون مرة واذا عبّرنا عن ذلك بالارطال قلنا انهُ اذا كان دفع الارض لجسم يبعد عنها قدماً واحدة مساوياً لمئة الف اقة فدفع الشمس والكواكب لهُ لا يزيد على جزء من ستين الف جزء من القمحة فهل يعقل بعد ذلك ان يكون وقوع الحجر على سطح الارض ناتجاً عن زيادة دفع الشمس والكواكب لهُ على دفع الارض لهُ

اما المدّ فليس ناتجاً عن مجرَّد قوة الجذب بل عن الفرق بين الجذب لماء البحر والجذب للارض التي تحتهُ لان الماء اقرب الى القمر من الارض التي تحتهُ فان القمر يبعد عن سطح الماء نحو ٢٤٠٠٠٠ ميل ويبعد عن مركز الارض اكثر من ذلك بنحو اربعة آلاف ميل فالفرق

$\frac{1}{3}$ من بعد القمر ولكن هذه المسافة اي ٤٠٠٠ ميل لا تبلغ الاّ نحو $\frac{1}{٢٤٠٠٠}$ من بعد الشمس عن الارض فالفرق في البعد بالنسبة الى القمر اكبر من الفرق في البعد بالنسبة الى الشمس ٤٠٠ ضعف ولكن جاذبية الشمس للارض لا تفوق جاذبية القمر للارض الاّ ١٨٠ ضعفاً فيبقى فعلهُ اشد من فعلها على نسبة ٤٠٠ الى ١٨٠ او كنسبة ٢٫٢ الى ١ هذا هو سبب المد وهو سبب كون فعل القمر بالمد اشد من فعل الشمس به

باب تدبير المنزل

قد نحا هذا الباب لكي يشرح فيو كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام والثياب والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

التبذير

اننا من الذين يرحّبون برواج التجارة ويعدونهُ من دلائل الارتقاء المادي ولكن لا يسعنا الاّ ان نأسف حينما نرى تهافت الناس ولاسيما السيدات على مشترى البضائع الخفيفة التي تبلى سريعاً او يتغير لونها ومنهنّ يعلنّ ذلك ويفضلنها على البضائع المتينة او الثابتة اللون لان هذه تقيم زماناً طويلاً ومنهنّ يرغبن في اتباع الازياء التي قد تتغير بين الصباح والمساء ولو كانت هذه البضائع تباع بالثمن البخس الذي تساويهِ حقيقة لهان الخطب او لو كانت تخاط باجرة قليلة مناسبة لثمنها لكان الامر محتملاً ولكنها تباع بثمن غالٍ جدًّا بالنسبة الى ثمنها الحقيقي ثم ان اجرة خياطتها مثل اجرة اجود المنسوجات

والامر المشاهد الآن ان اوربا ترسل الينا بعض الملابس من الجنيهات ثمن قطنها وثمنها بالمنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية والبرانيط وسائر مواد اللبس والزينة وبالمختصر ما يكون من ذلك كلهِ في الغالب حتى تسترد الجنيهات التي ارسلتها الينا فلا تنتهي السنة وعندنا جنيه منها . والبلاد رازحة تحت اثقال الدين والمرابون يقولون انها تحتمل ديناً اكثر من الدين الذي عليها اضعافاً بدليل ان الاطيان في بعض البلدان الاوربية مديونة اكثر من الاطيان في القطر المصري وفاتهم ان الدَّين في تلك البلدان هو لاهاليها انفسهم واما دَيْن القطر المصري فلغير اهلهِ ويضطرّ اهالي القطر ان يوفوهُ ويوفوا رباهُ

فيخرج هو ورباهُ من القطر واذا لم ينتبه نساء القطر لذلك ويقلن تفقاتهن ساءت العاقبة جداً

ايصدَّق ان موظف الحكومة الذي لا يزيد راتبهُ الشهري على ثلاثين جنيهاً تلبس زوجتهُ من الثياب في السنة ما يساوي اجرة شهر او شهرين من اجرته وقد بلغ هذا الداء الفلاحين في اكواخهم فقد رأينا بالامس امرأة عربية فلاحة يتيمها عشة من القصب وهي لابسة فستاناً من المخمل الازرق . فاذا انتشر هذا الاسراف بين الفلاحين انتشارهُ في المدن لم يعد دخل سكان القطر كافياً لملابسهم

ولا يبعد ان تداوى هذه العلة قبل تمكنها اذا قام الكتَّاب والكاتبات عليها قومة واحدة واكثروا من ذمها واظهار مضارها من حيث ذهابها بثروة البلاد

خطب السيدات في الجامعة

نشرنا في هذا الجزء خطبة من الخطب العربية التي تلتها احدى السيدات الفاضلات في الجامعة المصرية وسننشر في الجزء التالي خطبة لسيدة اخرى والسيدتان شرقيتان وخطبهما في الجامعة لا تقلُّ عن خطب كبار الاساتذة في وضوح معانيها وانسجام عباراتها فضلاً عن انهنَّ طرقن انفع المواضيع فاحسنت الجامعة في انتدابهما للخطابة فيها كما احسنتا في القيام بما انتدبتا لهُ . واننا نرجو ان يكون من وراء ذلك فائدة كبيرة من حيث توسيع نطاق المعارف ومن حيث الارشاد في الامور العملية التي نحن في اشد الحاجة اليها كتربية الاولاد وتدبير المنزل والاقتصاد في النفقات وما اشبه لان سعادة العائلة والبيت متوقفة على المرأة وهي لا تتعلم الوسائل الموصلة الى ذلك عادة فتجازف فيها مجازفة ولا تعلمها الاَّ بعد الاختبار الطويل وارتكاب الخطإ مراراً كثيرة وقد يكون هذا الخطأ غالباً بحياة اولادها او بصحتهم او بآدابهم او يكون متلفاً لثروة زوجها فاذا أُرشدت باختبار غيرها فقد تنجو وتنجي عائلتها من خسائر كثيرة ومضار كبيرة

اكاذيمية للنساء الفرنسويات

ذكرنا في العدد الماضي عزم بعضهم على انشاء اكاذيمية خاصة بالنساء الفرنسويات لان اكاذيمية العلوم باريس رفضت قبول مدام كوري العالمة المشهورة في عضويتها . وصاحب هذا الاقتراح المسيو غاستون بوردا فانهُ نشر مقالةً في احدى المجلات الفرنسوية قبل الاقتراع على انتخاب مدام كوري في اكاذيمية العلوم وقال ان احسن حلٍّ لهذه المسألة انشاء اكاذيمية

سادسة تكون خاصة بالنساء و يكون عدد اعضائها اربعين يتخبهنّ لاوّل مرة اعضاء المجمع العلمي ثم كلما خلا كرسيّ ينتخب الاعضاء الباقيات عضواً لها

وارسلت المجلة المذكورة كتاباً الى كل عضو من اعضاء المجمع العلمي قالت فيه ان البعض يرغبون في انشاء اكاديمية تضم نخبة النساء الفرنسويات اللواتي اشتهرنّ في الفنون والآداب والعلوم والفضيلة وطلبت من كل عضو ان يبدي رأيهُ في هذه المسألة وهل يريد ان المجمع العلمي ينتخب اعضاء هذه الاكاديمية بنفسهِ او يتولى الانتخاب بعض اعضاء المجمع فقط . وقد وردت بعض الرسائل ردًّا على ذلك فقال بعض الاعضاء انهم يرفضون الانتخاب وأعاد احدهم الظرف المرسل اليهِ ليضع رسالتهُ فيهِ خالياً من الرد . وكتب أحدهم ردّهُ باللاتينية وقال آخر ان الاليق بالنساء ان يلازمنّ بيوتهنّ . ونسي آخر ان جوائز الفضيلة التي تعطى كل سنة للنساء يوزعها الرجال فقال ان الرجال لا يحق لهم ان يحكموا في اهلية النساء في الامور التي لا تختص بهم لكنّ كثيرين من هيئة القوم وافقوا على هذا الاقتراح منهم بول بورجيار ووشجر و بول هارفيو وكباريه والبرنس رولان بونبارت وابيسان لا مي واميل اوجيه وروستان وغيرهم فحسى ان يخرج هذا المشروع الى حيز الفعل ولنيارى النساء في العلوم والفنون لهنّ يجدن لمنّ شاغلاً يشغلهنّ عن اتباع الازياء القبيحة التي انتشرت في هذه الايام فانهُ لو قال احد منذ سنتين ان النساء سيلبسنّ البرانيط التي شاع لبسها الآن لعدّ هازياً او مستخفاً بعقول النساء

ازالة المسامير

افضل علاج لازالة المسامير من القدم لبس الاحذية الواسعة . ومن الادوية المجربة المزيج الآتي

حامض سليسيليك	٣٠ قمحة
خلاصة القنب الهندي	٥ قمحات
زيت خروع	نصف درهم
كلوديون	نصف درهم

يدهن بهِ المسمار صباحاً ومساء بفرشة صغيرة اربعة ايام ثم تنظّف القدمان بالماء الساخن فيسهل نزع المسامير منها . ويجب حفظ الزجاجة مقفلة والاّ تبخر الدواء وزادت كثافتهُ

وقد رأينا بالاختبار ان المسمار يزول اذا وقي من ان يحتك بهِ شيء فاذا كان على ظاهر

القدم او الاصابع توضع حولهُ دائرة من الكرتون او النسالة وتربط هناك حتى تتسع ملاستهُ للحذاء ولا بد من لبس حذاء واسع حينئذٍ واذا كان بين اصبعين يفصل بينهما بالنسالة ايضاً حتى لا تلامسهُ الاصبع الاخرى فاذا دام منع الاحتكاك به بضعة ايام زال المسمار من نفسهِ او صار نزعهُ سهلاً جدًّا

اللُّكنة

يراد باللكنة ثقل اللسان وهي انواع كثيرة منها الفأفأة او التمتمة وهي التردد في النطق . والفأفأة وهي الاكثار من الفاء والتردد فيها . والتمتمة وهي رد الكلام الى التاء والميم . والثغثغة وهي تحوّل اللسان من حرف الى آخر كتحولهِ من السين الى الثاء او من الراء الى الغين او من اللام الى الياء وما اشبه

واللكنة في غالب الاحيان موروثة او يتعلمها الاولاد من غيرهم او يصابون بها عقب مرض كبعض الحميات وقلما تظهر قبل الرابعة او الخامسة من العمر وربما تأخر ظهورها الى سن البلوغ . ويصاب الذكور بها اكثر من الاناث

وهي انواع كثيرة كما تقدم ويمكن حصرها في نوعين الاول منهما الفأفأة والتمتمة وما اشبه فان الفأفاء او التمتام اذا حاول النطق وقف على الفاء او التاء او غيرهما وكرّر الحرف الذي وقف عليهِ . فلو حاول ان يقول تعب مثلاً نطقها هكذا « تتتتعب » . والنوع الثاني اللجلجة او العي فان الالكن في هذه الحال يقف على حرف من الحروف دون ان يكررهُ فاذا قال تعب مثلاً وقف على التاء ثم نطق بالكلمة دفعة واحدة هكذا « تـــــعب » . وربما تشنجت عضلات فكيهِ واحمرت وجنتاه او ازرقّ وجههُ وقد يصل التشنج الى العضلات الاخرى فيختلج حاجباهُ او جفناهُ او تشنج عضلات عنقهِ . وربما وجد الالكن راحة اذا وجّه انتباههُ الى عضوٍ من اعضائهِ فتراهُ يضرب الارض برجلهِ او ينقر باصبعهِ او يطبق يديهِ فيزول الحصر ويجد سهولة في النطق

ولا بد للنطق من ثلاثة امور الاول خروج الهواء من الرئتين والثاني خروج الصوت من الحنجرة والثالث التلفظ بالحروف بحركة الشفتين واللسان والاسنان والحلق فاذا لم يكن وفاق بين التلفظ وبين الصوت الذي يخرج من الحنجرة صار الانسان الكن . واحسن مثال لذلك ضرب العود فان العوّاد اذا ضرب الوتر بيدهِ الواحدة ضغط عليهِ باحدى اصابع اليد الاخرى فيخرج الصوت الذي يريدهُ ولا يمكنهُ اخراج الصوت المطلوب بيد واحدة وهكذا

الالكن فانهُ يحاول لفظ الدال مثلاً (وهي من الحروف النطعية كالتاء اي انها تخرج بضغط اللسان على مقدم الحنك) بغير صوت من حنجرتهِ فيجد انهُ ينطقها كالتاء فيرتبك في امرهِ ويتمتم في كلامهِ او ربما حاول النطق بالتاء وظنَّ انهُ لا بد لها من صوت يخرج من حنجرتهِ وهو لا يعلم ان التاء ليست كالدال فانها تلفظ بغير صوت من الحنجرة فيحتار في امرهِ ويحجلج او يتمتم

ويعالج الالكن بتعليمهِ نطق الحروف كل واحد منها على حدة ويبيّن لهُ الفرق بين الصوت واللفظ فان كل واحد منهما مختلف عن الآخر فبعض الحروف كالتاء والسين ينطق باللفظ فقط بغير مشاركة الصوت الذي يخرج من الحنجرة وبعضها لا بد من الصوت للنطق بها كالدال والزاي فاذا حاول الالكن ان ينطق السين وجعل لها صوتاً صارت زايًا ومثلها لو حاول لفظ الزاي بغير صوت فتصير سيناً. وقد عمل الدكتور ويلي جدولاً للحروف الافرنجية بين فيهِ الحروف التي تلفظ بغير صوت من الحنجرة والحروف التي لا بد من خروج الصوت من الحنجرة لصحة لفظها وقد حوّلنا هذا الجدول الى ما يوافق الحروف العربية وهو هذا

نوع الحروف	لا صوت لها من الحنجرة	لها صوت من الحنجرة
الشفوية اي التي تخرج من الشفتين	ف	ب م و
اللثوية اي التي تخرج بضغط اللسان على اللثة	ث	ذ ظ
الاسلية اي التي تخرج من اصل (رأس) اللسان	س ص	ز
الذولقية اي التي تخرج من ذولق اللسان		ل ر ن
الشجرية اي التي تخرج من الشجر (منفتح الفم)	ش	ج ض
النطعية اي التي تخرج من النطع اي مقدم الحنك	ط ت	د
اللهوية اي التي تخرج من اللهاة	ق ك	ج مصرية
الحلقية اي التي تخرج من الحلق	ه ح خ	أ ع غ

اما حروف اللين وهي الالف والواو والياء فلا يمكن نطقها بغير صوت فاذا أفهم الولد الفرق بين هذه الحروف تعلَّم النطق بها واحداً واحداً فالكاف مثلاً تنطق بغير صوت من الحنجرة فاذا صحبها صوت منها صارت جيماً مصرية ومثلها التاء فانها تنطق بغير صوت فاذا حاولنا ان نجعل لها صوتاً صارت دالاً وكذلك الشين فانها تصير جيماً شجرية والسين تصير زايًا وهلمَّ جرًّا

اطالة الحياة

نشرنا غير مرة آراء الاستاذ مشنيكوف في فوائد اللبن الرائب ولقد كتب حديثاً مقالة جديدة في هذا الموضوع بيّن فيها فائدة اللبن الرائب في شفاء بعض الامراض او الوقاية منها وما ينتج عن ذلك من اطالة الحياة . وذكر ما اختبره بنفسه فقال انهُ تقحّم جسمهُ بالحمى المتقطعة منذ اثنتي عشرة سنة فضعف قلبهُ وزاد ضعفاً باستعمال الادوية المنبهة فرأى ان يداوي نفسهُ بالامتناع عن الاشربة الروحية كلها والاطعمة غير المطبوخة على انواعها فكان لشرب الماء المغلي واللبن فقط او الشاي الخفيف ويأكل الاطعمة النشائية والبقول والفواكه المطبوخة وقليلاً من اللحم ثم اضاف الى طعامهِ اللبن الرائب فرأى ان صحتهُ تحسنت كثيراً . وهو الآن في الخامسة والستين من عمرهِ جلود على العمل ولم يكن يظن انهُ يكون كذلك في هذا السن لانهُ من عائلة لا تعمّر كثيراً ويبلغ الى ان صار عمرهُ ٥٣ سنة وهو يفعل كل ما يؤول الى اضعاف بنيتهِ . واشار على الشبان الذين يريدون ان يعمّروا كثيراً ان يتبعوا الخطة التي ذكرها في ما ياكلونهُ ويشربونهُ

غرائب الاعداد

طالعت باعمان ما ورد في مقتطف ايلول (سبتمبر) من سنة ١٩١٠ صفحة ٩٠٩ وبعد البحث ظهر لي ان العدد المذكور — عدونا — ليس الاّ القسم الدوري في الكسر العشري الناتج من قسمة واحد على ١٧ وذلك بعد اسقاط الفاصلة والتصرف به كعدد صحيح وهذه الحقيقة كافية لاظهار سبب الغرائب التي اشار اليها حضرة الكاتب ولبيانها اقول : —

$$\frac{1}{17} = 0,058823529411764705882352941176470588235294117647\ldots$$

ففي اثناء القسمة يكون الباقي الاعداد من ١ — ١٦ وبعبارة اوضح يظهر ستة عشر

باقياً مختلفاً من ١ — ١٦ وهذا تتابعها : —

١ و١٠ و١٥ و١٤ و٤ و٦ و٩ و٥ و١٦ و٧ و٢ و٣ و١٣ و١١ و٨ و١٢

وعليه اذاً اذا قسمنا ٢ على ١٧ ظهر ذات الباقي مبتدئة بعد الباقي ٢ وفي نفس الترتيب الذي ظهرت فيه بعد قسمة ١ على ١٧ اي ٣ و١٣ و١١ الخ ولذلك ما قيل في الباقي يصدق وينطبق على الخارج اي يبتدئ بواحد وتظهر فيه الارقام التي ظهرت في الخارج من قسمة ١ على ١٧ مرتبة من اليسار الى اليمين حسب مبادئ التتابع او التعاقب الدوري

ومن الواضح ان ضرب « عددنا » في ٢ ليس سوى قسمة ٢ على ١٧ وحاصل الضرب يعدل ذلك الخارج

واذا ضربنا عددنا في ١٣ كان الحاصل نفس الخارج من قسمة ١٣ على ١٧ والاعداد ترد فيه (اي في الحاصل) متتابعة وعلى ذات الترتيب لكنها تبتدئ من اليسار بعد ٧ لانها الخارج من قسمة جميع البواقي التي تبتدئ من ١٣ وهذه البواقي كما أتينا سابقاً تبقى دائماً على نفس الترتيب . اما الصفر فهو اصلي في الحاصل ومركزه بين السبعة والخمسة

ومن خواص البواقي ان عددها اقل من عدد المقسوم عليه بواحد ولقسم الى نصفين مجموع افراد النصف الاول مع ما يقابلها من النصف الاخر كمية ثابتة تعادل العدد المقسوم عليه

واما صحب البند الثالث فكما يأتي : —

« عددنا » × ١٧ = ٩٩٩,٩٩٩,٩٩٩,٩٩٩,٩٩٩,٩٩٩

وهذا الحاصل يعدل ١٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ — ١

ثم ٤٠٠ ٧٢٣ ÷ ١٧ = ٤٢ ٥٥٦ والباقي ٣

وعليه « عددنا » × ٤٢ ٥٥٦ = ٤٢ ٥٥٦ ٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ — ٤٢ ٥٥٦

اضف اليه « عددنا » × ٣ = ١,٧٦٤,٧٠٥,٨٨٢,٣٥٢,٩٤١

فيكون المجموع ٤٢ ٥٥٦ — ٤٢٥,٥٦١,٧٦٤,٧٠٥,٨٨٢,٣٥٢,٩٤١

= ٤٢٥,٥٦١,٧٦٤,٧٠٥,٨٨٢,٣١٠,٣٨٥

وقس عليه المثال الثاني

واما مثال « عددنا » غرة (١) فهو $\frac{١}{١٧}$ وغرة (٢) $\frac{٢}{١٧}$ ويزاد عليها $\frac{٣}{١٧}$ و$\frac{٤}{١٧}$ و$\frac{٥}{١٧}$ ٠٠٠ الخ

منصور حنا جرداق

باب الزراعة

تاريخ القطن في مصر

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة ما جاء في كتاب الجمعية الزراعية الخديوية السنوي عن تاريخ القطن المصري وقد وقع خطأ في نسبة تلك المقالة الى المسيو بلنسكي فهي للمستر بواز تباقي الجمعية الزراعية الخديوية وقد قال بعد الذي لخصناهُ في الجزء الماضي ان ما حدث من التنوع في قطن السي ايلند في هذا القطر يوصلنا الى معرفة اصل القطن المصري والظاهر ان الامر جرى على هذه الكيفية

لقد ذكر المستر بورنج ان القطن الوطني الحشيشي قل كثيراً سنة ١٨٣٤ والآن لا نجد لهُ اثراً في القطر المصري ولذلك لا نلتفت اليهِ في بحثنا

ثم ان قطن محو وجومل كان شجراً في عهد بورنج اي سنة ١٨٤٠ وقد شبههُ اور سنة ١٨٣٦ بالقطن البرازيلي الاسمر ويرجح ان قطن جومل الاصلي كان سنة ١٨٣٠ اسمر فبقي علينا ان نعرف كيف تولد قطننا السنوي الاسمر والابيض . وليس لدينا ما يفيدنا في البحث بين سنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٧٠ ولكن بحث المستر فلتشر في عينات تودارو التي جمعت سنة ١٨٦٦ دلَّنا على كيفية تولُّد القطن الحاضر فان هذه العينات تدلُّ على ان القطن الاسمر والسي ايلند والقطن المصري الحالي كانت كلها تزرع في القطر المصري سنة ١٨٦٦ وكان يزرع فيهِ على سبيل التجربة قطن من برازيل وقطن من بيرو

والظاهر ان القطن الشجري اي قطن جومل كان يزرع وحدهُ في اول الامر وكذلك قطن السي ايلند ولا يختلطان ثم صارا يزرعان معاً فاختلطا بان صار زهر الصنف الواحد يتلقح من زهر الصنف الآخر فتولد من هذا الاختلاط اصناف جديدة . ومن المحتمل ان هبوط ثمن القطن سنة ١٨٢٧ بسبب زيادة محصولهِ ونشوب الحرب في الشام والسودان حملا الحكومة على ترك الاهتمام بزرع القطن وحفظ اصنافهِ سليمة من الاختلاط فجعل اهل الزراعة يشترون التقاوي من المرابين وهي غير نقية كما يفعلون الآن فامتزج قطن جومل بقطن السي ايلند بالتجنيس وتكوَّن منهما اصناف القطن المصري

وقبلما تولّد القطن العفيفي كانت اصناف القطن المصري هي الاشموني والقلبي والمندي والبامية والحولي والابيض . فالحولي الذي يمتاز بطول اشجاره واستقامتها يحتمل ان يكون اصلهُ من اشجار قطن جومل التي لُقّحت ازهارها من ازهار السي ايلند والقطن الابيض يحتمل ان يكون اصلهُ من السي ايلند الذي لُقّح بقطن جومل الاسمر او بالقطن البرازيلي الاسمر فبقي فيهِ لون السي ايلند الابيض . وقطن البامية اخذت اشجارهُ الشكل المرمي بالتنوّع من السي ايلند . اما ما قيل من انهُ لُقّح بنبات الباميا فغير صحيح في الراجح لان التجارب لم تؤيدهُ

ولما ظهر القطن العفيفي سنة ١٨٨٢ وجد انهُ اصلح صنف يمكن زرعهُ في القطر المصري والاصناف التي تولّدت منهُ بعد ذلك قلما تمتاز عنهُ في الصفات الخارجية وتقط الامتياز في الشعرة في لونها وطولها ولمعانها ومتانتها اما كيفية تكوّن القطن العفيفي فخلاصتها على ما رواهُ السر ويليم ولككس ان القطن القديم الاسمر الذي كان يزرع في مصر (ولعلهُ القطن الاشموني) زرع في جزيرة في بلدة ميت عفيف على فرع دمياط وأرض هذه الجزيرة رملية يثمرها ماء النيل وكانت نتيجة انثمارها بالماء ان المزارعين لم يتمكنوا الاّ من جمع اللوزات التي فتحت بدرياً ومن تلك اللوزات كانت تؤخذ التقاوي للسنة التالية وباستمرار انثمارها وأخذ التقاوي من اللوز البدري تكاثر هذا الصنف من القطن وهو القطن العفيفي

ثم ظهر القطن الزغيري وهو منتقى من القطن العفيفي وظهر بعدهُ العباسي وهو منتقى من الزغيري وهما يمتازان عن العفيفي ببياض شعرتهما ودقتها اما البياض فراجع الى الاصل اذ قد تقدم وجود القطن الابيض قبل العفيفي . واستخرج السيو ينوفتش قطن الينوفتش من العفيفي فانهُ اختار شجرة واحدة سنة ١٨٩٩ رآها ممتازة على غيرها وزرع بزورها فتكوّن منها الصنف المنسوب اليهِ ثم لقحهُ من العفيفي فتكون معهُ الينوفتش الاسمر . والظاهر ان القطن السلطاني نوع من الينوفتش وهو اشبه بالسي ايلند من كل الاقطان المصرية ويستعمل كما يستعمل السي ايلند

ري العراق

عقدت الدولة العلية اتفاقاً مع محل السر جون جكسن وشركائهِ لبناء سدٍّ عظيم في اول الترعة الهندية التي تخرج من نهر الفرات والغرض من بنائهِ تحويل مياه الفرات كلها الى مجراها الطبيعي عوضاً عن جريها في الترعة الهندية حيث غمرت جزءاً كبيراً من الاراضي التي

هناك فتى تم هذا المشروع وعادت المياه الى مجراها الاصلي صار في الامكان تجفيف المستنقعات التي على جانبي الترعة والانتفاع باراضيها وصارت مياه الفرات كافية لري الاراضي التي على جانبيه في زمن الصيف

الفيضان ومحصول القطن

رأينا في تقرير نظارة الاشغال العمومية عن سنة ١٩٠٩ جدولاً كبير الفائدة عن محصول القطن وحالة الفيضان منذ سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٩٠٩ وهاك خلاصته

السنة	زمام القطن	محصوله بالقنطار	محصول الفدان	الماء الصيفي	وصول الفيضان
١٨٩٥	٩٧٧ ٧٣٥	٥ ٢٥٦ ١٢٨	٥٫٣٨ القنطار	جيد جداً	٥ اغسطس
١٨٩٦	١ ٠٥٠ ٧٤٧	٥ ٨٧٦ ٤٧٩	٥٫٦٠	معتدل	١٥ »
١٨٩٧	١ ١٢٨ ٨٠٤	٦ ٥٤٣ ٦٢٨	٥٫٨٠	فوق الوسط	١٦ »
١٨٩٨	١ ١٢١ ٢٦١	٥ ٥٨٨ ٨١٦	٤٫٩٨	تحت الوسط	١٢ »
١٨٩٩	١ ١٥٣ ٣٠٦	٦ ٥٠٩ ٦٤٥	٥٫٦٤	جيد	٣١ »
١٩٠٠	١ ٢٣٠ ٣٣٠	٥ ٤٣٥ ٤٨٨	٤٫٤٢	ردي جداً	٣٠ يوليو
١٩٠١	١ ٢٤٩ ٨٨٤	٦ ٣٦٩ ٩١١	٥٫١٠	تحت الوسط	٢٧ »
١٩٠٢	١ ٢٧٥ ٦٨٠	٥ ٨٣٨ ٧٩٠	٤٫٥٨	» »	٣٠ »
١٩٠٣	١ ٣٣٢ ٥١٠	٦ ٥٠٨ ٩٤٧	٤٫٨٨	نحو الوسط	٣ »
١٩٠٤	١ ٤٣٦ ٧٠٨	٦ ٣١٣ ٢٧٠	٤٫٣٩	جيد جداً	٢٢ يونيو
١٩٠٥	١ ٥٦٦ ٦٠١	٥ ٩٥٨ ٨٨٣	٣٫٨٠	متوسط	٢ اغسطس
١٩٠٦	١ ٥٠٦ ٢٩٠	٦ ٩٤٩ ٣٨٣	٤٫٦١	جيد جداً	٢٥ يوليو
١٩٠٧	١ ٦٠٣ ٢٢٤	٧ ٢٣٤ ٦٦٩	٤٫٥١	جيد جداً	٢٦ »
١٩٠٨	١ ٦٤٠ ٤١٥	٦ ٧٥١ ١٣٣	٤٫١٢	تحت الوسط	٢٩ »
١٩٠٩	١ ٤٦٠ ٠٠٠	٦ ٠٠٠ ٧٧٢	٣٫٤٢	جيد جداً	١٦ »

واذا اعتبرت سائر الاسباب التي تؤثر في القطن ظهر ان الفيضان المتأخر او القليل اصلح للقطن من الفيضان المتقدم او الكثير وهذا يرجح ما قيل من ان زيادة مياه الري لا تنفع القطن بل تضره

باب التقريظ والانتقاد

الحكيم

مجلة صحية طبية لمنشئها الدكتور محمد فضلي جاءتنا العدد الاول منها وفيهِ مقالة مسهبة في وصف داء البلهارسيا في القطر المصري وايضاح طرق الوقاية منهُ وهو موضوع على جانب عظيم من الاهمية لكثرة المصابين بهذا الداء في القطر المصري . وقد احسن الكاتب في تنبيه الفلاحين الى العناية بشرب الماء وحبذا لو نبه ايضاً الى الاشتاع عن الاستحمام بالترع ومستنقعات الماء لان طرق العدوى بهذا الداء لا تزال مجهولة و يذهب بعض الباحثين الى انهُ ينتقل ايضاً بالاستحمام بالماء الملوث لا بشربهِ فقط . وقال في وصف هذه الديدان انها تختلف عن غيرها في كونها ذكراً وانثى كل منهما حيوان قائم بنفسهِ وان الديدان الاخرى تحوي اعضاء التناسل الذكر والانثى في جسم واحد . اما قولهُ في الديدان الخيطية على انواعها كالدودة المدنية والانكيلوستوما والتريخينا وغيرها فانها كلها مثل ديدان البلهارسيا من هذا القبيل

العملية القيصرية

هي رسالة للدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب وصف فيها العملية القيصرية اي استخراج الجنين بشق البطن والرحم لضيق الحوض او لاسباب اخرى ذكرها كلها مفصلة ووصف العملية وصفاً مدققاً وذكر تاريخها عند الرومانيين وغيرهم وسبب تسميتها بالعملية القيصرية . وحبذا لو ذكر ما عرف الضرب عنها فان استخراج الجنين بشق البطن لم يكن مجهولاً عندهم وكانوا يسمون من يولد كذلك الخشمة والخارجة . قال في تاج العروس الخشمة ولد البقير والبقير المرأة تموت وفي بطنها ولدها فيبقر بطنها ويخرج . وكان بكير بن عبد العزيز خشمة . . . قال الحطيئة يمدح خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر

وقد علمت خيل ابن خشمة انها ... متى تاقَ يوماً يتّا جلاد تجالدُ

خشمة ام خارجة وهي البقيرة كانت ماتت وهو في بطنها يرتكض فبقر بطنها وسميت البقيرة

وسمي خارجة لانهم اخرجوهُ من بطنها » انتهى · وذكر مؤلف الرسالة حادثة من هذا القبيل في مستشفى قليوب عمل لها العملية المذكورة وبقيت المرأة وطفلها على قيد الحياة فنشني على همتهِ واجتهادهِ

كتاب الهمز

أهدت الينا المطبعة الكاثوليكية في بيروت كتاب الهمز لابي زيد سعيد بن أوس الانصاري نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي تباعاً في مجلة المشرق ثم جمعهُ على حدة واضاف اليهِ فهرسين وتصحيحات في آخرهِ فنتقدم لهُ بجزيل شكرنا

مكتبة الجامعة المصرية

اهدت الينا مكتبة الجامعة المصرية نشرتها لشهري مايو ويونيو الماضيين ومعها صورة خطاب رقمهُ ناظر المكتبة الدكتور فشتزو فاجو الى صاحب الدولة البرنس فؤاد باشا رئيس الجامعة جاء فيهِ ان المكتبة على حداثة عهدها فيها نحو عشرة آلاف مجلد معظمها هدايا من الحكومات الاوربية · و يرجع الفضل في اهداء هذه الكتب الى البرنس فؤاد لما لهُ من النفوذ والغيرة فاستلفت بذلك انظار الحكومات الاجنبية

وذكر الكاتب بعض هذه الهدايا منها نسخة تركية من ديوان السلطان سليم العثماني اهداها جلالة الامبراطور ولهلم الثاني وقد طبع هذا الديوان على نفقتهِ في برلين سنة ١٩٠٤ · ومنها كتب اهداها جلالة ملك ايطاليا · ومطبوعات مغربية اهداها مولاي عبد الحفيظ سلطان المغرب الاقصى وهي مطبوعة في المطبعة التي انشأها حديثاً وبعضها من مؤلفاتهِ · ومنها كتاب من الملكة الكسندرا فيهِ وصف الاسلحة والدروع التي في قصر سندرنجهام وكان المرحوم الملك ادورد السابع قد اوصى باهداء نسخة من هذا الكتاب الى الجامعة المصرية وغيرها من دور العلم

وأرسلت الينا المكتبة ايضاً نسخة من قانونها وأهم ما جاء فيهِ ان ابوابها مفتوحة للجمهور كل يوم من الساعة الثامنة صباحاً الى الظهر ومن الساعة الرابعة الى السابعة مساء عدا أيام البطالة

الفنون والصنائع

مجلة صناعية هندسية رياضية يصدرها نادي الفنون والصنائع مرة كل شهر وقد جاءتنا العدد الاول منها وفيه مقالة في الفلسفة الطبيعية وأخرى في المركبات الغازية ومقالة في السدود المالية وفوائد أخرى رياضية وهندسية وصناعية فنتمنى لها النجاح في خدمة الوطن ونثني على غيرة منشئيها

الرابطة

مجلة عثمانية شهرية تصدرها جمعية متخرجي الكلية السلطانية في بيروت بالعربية والتركية والفرنسوية والغاية من انشائها ان تكون رابطة الكلية السلطانية في بيروت بشقيقاتها في سلانيك والقاهرة والاسكندرية وسائر المعاهد العلمانية . وهي ثلاثة ابواب باب المبادىء وباب العلم والادب وباب الحوادث فنتمنى لها النجاح في خدمة الوطن ونشر المبادىء القويمة الصحيحة

مدرسة مصطفى كامل

اهدت الينا ادارة مدرسة مصطفى كامل الطبعة الاولى من برنامجها وفيه قوانين المدرسة وشروط الدخول فيها وبيان علومها فنتمنى لها النجاح في ما يؤول الى خدمة الوطن

الروايات الجديدة

ظهر العدد الحادي والعشرون والعدد الثاني والعشرون من مجلة الروايات الجديدة لمنشئها نقولا افندي رزق الله وفيهما رواية شهداء التعصب ولطائف شعرية ونكات ادبية لنلفت اليهما انظار القراء

المدرسة التجارية الليلية بالقاهرة

ارسلت الينا نظارة المعارف المصرية قانون المدرسة الليلية التجارية وفيه مواد التعليم وهي الحساب التجاري ومسك الدفاتر والشغل على آلة الكتابة والكتابة المختزلة . اما اوقات التعليم فمن الساعة السابعة الى الساعة التاسعة ليلاً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه وانقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر تكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تربية دود القز

بني صويف · علي افندي اسلام · كيف يربى دود القز

ج · تجدون لذلك شرحاً وافياً في المجلد التاسع والمجلد العشرين والمجلد السادس والعشرين والمجلد الخامس والثلاثين من المقتطف

(٢) الخلنراف اللاسلكي

مصر · السيد افندي شكري · ما هو الخلنراف اللاسلكي

ج · تجدون وصفاً سهلاً لهُ في المجلد السادس والعشرين والمجلد السابع والعشرين من المقتطف

(٣) السامور

مصر · جلبي افندي جلبي · أُصيب رجل منذ سنتين بخيال في عينهِ اليسرى والخيال كالدخان يتحرك بسرعة الى اليمين واليسار والى فوق وتحت وعين المصاب نظرها حاد طبيعي فمن اين جاء هذا الخيال وهل من علاج لهُ

ج · ربما كان الشخص الذي تذكرونهُ مصاباً بالسامور وقد ذكرنا اسبابها في عدد نوفمبر من السنة الماضية او انهُ مصاب بتمامة في العدسية او الرطوبة الزجاجية ولا بد من عرضهِ على طبيب من اطباء العيون ليفحص عينهُ ويشخص الحالة تماماً

(٤) مدارس البنات في مصر

مصر · السيد افندي شحاته · ما هي افضل مدرسة اوربية للبنات في مصر

ج · المدارس الاوربية لتعليم البنات كثيرة في مصر وتختلف الواحدة عن الاخرى باختلاف اللغات والعلوم التي تعلّم فيها فبعضها يعلّم الانكليزية او الفرنسوية او كليهما او غيرهما من اللغات او بعض العلوم دون غيرها ولبعضها عناية خاصة بالتهذيب والتربية والاشغال اليدوية ولا ندري اي هذه المدارس تريدون او كيف تقدرون ان تفضل مدرسة على غيرها فاننا اذا فعلنا ذلك تكون قد حططنا من شأن غيرها ولا شيء في ذلك من العدل والانصاف فعليكم ان تختاروا

المدرسة التي ترونها موافقة. وعندنا ان مدرسة البنات الاميركية الكبرى من احسن مدارس هذا القطر

(٥) السعادة والقناعة

بيت لحم . زخريا افندي عيسى . ما هي السعادة التي يمكن الحصول عليها في هذه الحياة

ج . الصحة جسداً وعقلاً

(٦) اصلح نور للاستضاءة

ومنهُ . ما هو اصلح نور للاستضاءة ليلاً في البلاد التي لا انوار كهربائية فيها لمن يريد القراءة والكتابة وهل ادمان المطالعة يضرُّ بالنظر

ج . اصلح نور للاضاءة ليلاً في الاماكن التي لا انوار كهربائية فيها نور البترول اي زيت الكاز او ما كان مثلهُ من الانوار الساطعة التي لا تترجرج . ويجعل على المصباح حجاب يمنع وقوع النور على العينين او يجلس الانسان حيث لا يقع النور على عينيهِ بل على الكتاب الذي يقرأهُ مخرفاً حتى لا ينعكس الى عينيهِ . ويفضل ان يكون لون الحجاب ازرق او اخضر . ولا ريب في ان ادمان المطالعة يضر بالنظر فان الافراط في استعمال اي عضو من الاعضاء يضر بهِ

(٧) منافع زيت السمك

ومنهُ . ما هي منافع زيت السمك الطبية وهل من واسطة لازالة رائحتهِ الكريهة وجعلهِ اسهل هضماً

ج . هو مغذٍّ للجسم وافضل واسطة لتخفيف رائحتهِ وجعلهِ اسهل هضماً شربهُ مستحلباً او مركباً مع ادوية اخرى ومركباتهُ هذه كثيرة جداً عند الصيادلة ويفضل ان تشتروها كذلك لا ان تستحضروها بنفسكم

(٨) التهاب الشعب المزمن

ومنهُ . ما هي الوصايا الصحية لمن كان مصاباً بالتهاب مزمن في الشعب

ج . الامتناع عن التدخين والمسكرات والتحفظ من البرد وتقوية الجسم وشرب الادوية اللازمة التي يصفها الطبيب مع ملاحظة القلب والكليتين والكبد

(٩) دواء للكوليرا

ومنهُ . هل توصل الاطباء الى علاج للكوليرا يكون بهِ الشفاء الاكيد

ج . كلاَّ . لكن التلقيح يجرائيها قد يقي منها

(١٠) الحافظة والذاكرة

ام دومة . محمود افندي الناظر . رأيت في بعض المؤلفات الطبية ما يفهم منهُ ان بين الحافظة والذاكرة فرقاً فما هو الفرق بينهما

ج . الحافظة قوة في الدماغ تحفظ ما تدركهُ القوة الوهمية من المعاني وتسمى بالانكليزية (Memory) والذاكرة قوة ذكر هذه المعاني او احضارها وتسمى بالانكليزية (Recollection) وهاتان القوتان مرتبطتان

الواحدة منهما بالاخرى وكثيراً ما تستعمل اللفظة الواحدة من هاتين اللفظتين مكان الاخرى

(١١) المطر والسمك والفحم

شابوري ربواكر . الخواجا جبران خليل قندلفت . اكد لي البعض انهُ هطلت مرة امطار غزيرة في مدينة يافا ومعها بعض الاسماك الصغيرة وهطلت امطار سيفة وقت آخر ومعها من دق الفحم فهل ذلك ممكن واكيد وفي اي سنة كان ذلك

ج . الامران ممكنان اما وجود السمك الصغير مع المطر فسببهُ ان اعصاراً (تيفناً) يمرُّ فوق بركة فيها سمك او فوق البحر فيمتص الماء والسمك معهُ ثم يقع ذلك السمك مع ماء المطر او مع ماء الاعصار ولا تذكر ان ذلك حدث في زماننا واما الثاني فسببهُ الغالب ان بركاناً يثور ويقذف الرماد والحم فتمتزج بالسحب وتقع مع ماء المطر وقد حدث شيء من ذلك في زماننا في ٢٧ فبراير (شباط) سنة ١٨٧٧ وقت خسوف القمر كما ترون في الصفحة ٢٥٦ من المجلد الاول من المقتطف وكنا حينئذٍ في بيروت فرأينا في الماء سحباً سوداء تسوقها الرياح بسرعة من الغرب الى الشرق ثم وقع منها مطر اسود رسب منهُ راسب كغبار الفحم آتياً من ثوران بركان

(١٢) اسماء عقاقير

كفر الطويلة بالغربية . حامد افندي السيد الطنطاوي . ما هي الاسماء التي تعرف بها العقاقير الآتية عند الصيادلة وهي السعد والقاقلة والنارمشك والفلفلويه والاملج والبليلج والاهليلج الاسود والبلاذر والفائيذ

ج . قلما تستعمل هذه العقاقير في ايامنا واكثرها لا يوجد عند الصيادلة فالسعد نبت من فصيلة الخيل وحب العزيز وهو من الافاويه العطرية ويسمى (Cyperus longus) والقاقلة تسمى ايضاً حب الهال (Cardamum) وهو مشهور والنارمشك هو زهر الرمان البري ويظن بعضهم انهُ النبت المسمى (Paeonia) والفلفلويه هو جذر شجر الفلفل (Piper radix) والبلاذر نبت هندي يسمى (Avicennia tomentosa) والفائيذ ضرب من السكر يجلب من سجستان ويسمى (Penidium) . اما الاملج والبليلج والاهليلج الاسود فتجدون وصفها في رحلة بارتيا المنشورة في هذا العدد من المقتطف

(١٣) خواص البرتقال والمندرين

ومنهُ . ما هي خواص البرتقال والمندرين

ج . البرتقال مغذٍ سهل الهضم مبرّد في الحميات مدرٌّ للبول منظف للقناة الهضمية . ومثلهُ المندرين

(١٤) الشوف الهندي الالماني

ومنهُ . ما هو تركيب الشوف الهندي الالماني وما هي خواصهُ

ج . تركيبهُ كما يأتي

جذر قصب الغريرة وجذر الجنطيانا وجذر اللوف من كلٍّ ٣٠ غراماً

جذر الزنجبيل وقشر النارنج وطرطرات البوتاس من كلٍّ ١٥ غراماً

زيت الكراويا غرامان

يسحق جيداً و يوخذ منهُ ملعقة صغيرة ثلاث مرات كل يوم وهو مقوٍّ للمعدة وطارد للريح

اما الكتب التي تسألون عنها فالاصلح طلبها من احدى المكاتب . ونظن ان كتاب الاقرباذين للدكتور بوست قد نفدت طبعتهُ

(١٥) تاسيس الشركات

سنغافورة . عوض افندي سعيدان . يلفتني انهُ توجد في اللغة الانكليزية وغيرها من اللغات الحية كتب صنفت في الطريقة التي يمكن للانسان ان يسلكها في تأسيس الشركات وترتيبها طبق القاعدة المستعملة الان في العالم المتمدن وما يجب اتباعهُ وواجبات الرئيس وواجبات المدير والاعضاء العاملين وغيرهم فهل توجد في العربية كتب صنفت لهذا الغرض وما هي الطريقة الانكليزية المعمول بها في بلادهم لذلك

ج . ليس في العربية كتب لتأليف الشركات في ما نعلم اما الانكليزية ففيها كتب مختلفة لهذا الغرض ومنها كتاب الاشغال الازرق Bussiness Blue Book فان فيهِ كل ما يلزم لعقد الشركات وادارتها وهو يطلب من كل باعة الكتب الافرنجية وثمنهُ شلنان فقط خلا اجرة البريد

باب الاخبار العلمية

المؤتمر الدولي لتحسين حالة العميان

انعقد المؤتمر الدولي الرابع لتحسين حالة العميان في هذه العاصمة والقتهُ دولة البرنس احمد فؤاد باشا نائباً عن سمو الخديوي في ٢٠ فبراير الماضي وحضر حفلة الافتتاح بعض الامراء ونظار الحكومة المصرية ودولتلو رياض باشا وسماحتلو قاضي مصر وبعض الروساء الروحيين والسر المدن غورست ووكلاء الحكومات الاجنبية وكبار الموظفين وعدد كبير من علية القوم واهل العاصمة

فلما كانت الساعة الحادية عشرة قبل الظهر اقبل دولة البرنس احمد فؤاد باشا يحفُّ بهِ بعض من الامراء والنظار والقى خطبة

وجيزة باللغة الفرنسوية افتتح بها المؤتمر بالنيابة عن سمو الخديوي ورحب بالمندوبين وامّل ان يحسن المؤتمر احوال العميان

ثم نهض سعادة رشدي باشا ناظر الخارجية وخطب بالفرنسوية بالنيابة عن اللجنة فرحّب بالمندوبين والمدعوين وتلاه سعادة عبد الخالق باشا ثروت النائب العمومي فتلا خطبة عربية بليغة استوفى فيها ما يقتضيه المقام من عبارات الترحيب والثناء وذكر القول الذي كان يقال في غابر الزمان ان مصر بلاد العميان ثم قال ان الدكتور علوي باشا قد بحث ملياً في هذا الامر وانهُ سيعرض على المؤتمر حقائق تزحزح هذا الاعتقاد غير ان مصر مهما بلغت من التقدم لم تبلغ درجة اوربا. واستطرد من ذلك الى ذكر حال العميان في الازمان الماضية فابان ان بلاد مصر كانت تعنى بتعليمهم وتثقيف ويلاتهم لذلك نبغ منهم العلماء والشعراء والبلغاء

وخطب الاب روهار احد مندوبي فرنسا بالنيابة عن المندوبين فشكر لمصر ما لها من المنة والفضل في استقبالهم هذا لما هو مأثور عنها ومعهود فيها من اللطف والكرم وحسن الضيافة والغيرة على العلم واهله

وتلتهُ الميس جفن مندوبة الولايات المتحدة فخطبت بالانكليزية خطبة شكرت فيها الجناب العالي واعضاء اللجنة وبسطت الرجاء ان تأتي اعمال المؤتمر بخير عظيم

ثم وقف الدكتور علوي باشا وتلا خطبة فرنسوية افتتحها بمدح الجناب العالي والحكومة المصرية ورحب بالمندوبين ثم ذكر ان لائحة المؤتمر تشمل امرين الاول البحث في منع العمى والوقاية منهُ والثاني البحث في تحسين حالة العميان وابان ان الواسطة التي تتم بها الغاية الاولى مستشفيات الرمد الثابتة والمتنقلة واثنى على السر ارنست كاسل لتبرعه بالمال لانشاء المستشفيات المتنقلة

وعقدت الجلسة الثانية يوم الثلثاء في ٢١ فبراير في دار الجامعة المصرية وعرضت المسألة الاولى وهي تعريف العمى فقرأ الدكتور كحيل رسائل وضعها في هذا البحث الاب اميديه متوكان والدكتور لويس دور والمسيو صالينا من اعضاء المؤتمر الذين لم يتمكنوا من الحضور وعقبهُ الدكتور محمد بك طاهر فخطب في هذا الموضوع ثم دارت المناقشة بين الاعضاء واتفقوا على القرارين الآتيين

الاول - الاعمى في عرف الاطباء من كانت درجة نظره في كلتا عينيه صفراً

الثاني - الاعمى في عرف الهيئة الاجتماعية من لا يمكنهُ التعيش بنظره

ثم انتقل الاعضاء الى البحث في المسألة الثانية وهي منع الامراض التي تسبب العمى فتكلم بعض الخطباء واجّلت المناقشة في هذه المسألة الى الجلسة التالية التي عقدت يوم

الاربعاء في دار الجامعة ايضاً فخطب الدكتور سامح بك خطبة ذكر فيها عناية الخلفاء والسلاطين بالعميان وانشاء مستشفى قلاوون والمستشفى العباسي وملجأ العجزة في طرة ومستشفى الشواربي في طوخ وقال ان من واجبات الاوقاف العناية بالعميان واقترح على الحكومة بعض الاقتراحات فناقشهُ بعض الاعضاء. ثم تقرر باجماع الاراء ان يعهد الى المسيو فان دنيغل ان يقدم الى الجلسة القادمة الجواب عن المسألة المتناقش فيها وهي :

ما هي احسن الوسائل التي يمكن اتخاذها لمنع انتشار الامراض الوبائية المسببة للعمى

ثم فتحت المسألة الثالثة وهي تعليم لغة الاسبرانتو للعميان وبعد المناقشة قرر المؤتمر ان الاسبرانتو لغة نافعة لكنهُ لا يبت شيئاً في امر علاقتها بالعميان

ثم عرضت المسألة الرابعة وهي تعليم العميان التيبوغرافيا اي الكتابة المختزلة فقرر المؤتمر تعليم الاختزال في مدارس العميان العالية وترك الحرية للمدارس الابتدائية في تعليمهِ

وعقدت الجلسة الثالثة يوم الخميس وعرضت المسألة الخامسة وهي : ما هي لحسن الحرف والصنائع التي يمكن ان يتعلمها العميان لاكتساب معاشهم فنهض المسيو غبار ولي المحامي الضرير والقى خطبة وصف فيها تاريخ حياتهِ وكيف أصيب بفقد بصرهِ وهو شاب ثم تسلم فن المحاماة واتخذهُ مهنة لهُ ولا يزال يشتغل بهِ وقال ان العميان يمكنهم ان يتعلموا اكثر الحرف الادبية التي يتعلمها المبصرون . واشار بعضهم بتعليم العميان مهنة الدلك وقال ان اكثر الدلكين في بلجيكا منهم وطلب غيرهُ استخدام الفونوغراف في تدريس العميان واقترح بعضهم اتخاذهم للموسيقى مهنة للتعيش وتكلم امين افندي بوزري ضارب التاي الشهير وهو ضرير فقال انهُ يعول عائلة كبيرة مؤلفة من سبعة اشخاص بضرب التاي . وبعد مذاكرة قصيرة وضع المؤتمر قراراً في هذه المسألة هذا نصهُ

اولاً . يراعى في صنائع العميان احتياجات كل بلد

ثانياً . يفضل من الصنائع ما يسهل على الاعمى الاشتغال بهِ ويكسبهُ ما يكفي لمعاشهِ

ثالثاً . يجتهد في ان يتولى الاعمى بيع ما يشتغلهُ للزبائن

رابعاً . تحفظ المهن العالية والخصوصية للعميان الذين يظهر ميلهم للنبوغ والتوفر على الدرس

ثم عرضت المسألة السادسة وهي : ما هي احسن الالعاب والتمرينات الجسدية الواجب إدخالها الى مدارس العميان فتقرر ان احسن الالعاب اللازمة للعميان هي الرياضة البدنية ثم الالعاب اليدوية البسيطة

ثم عرضت المسألة السابعة وهي : هل

يوجد تغييرات مفيدة يمكن ادخالها على طريقة برايل المتبعة الآن في تعليم العميان القراءة فتقرر ان لا محل لاجراء اي تغيير الآن في هذه الطريقة

وعرضت بعدها المسألة الثامنة وهي: ألا يمكن للاعمى ان يقوم مقام المبصر في مكاتب التليفون والتلغراف فتقرر ان العمل في التلفون والتلغراف صعب والاولى ترك الاشتغال بهما لمن يرى في نفسه كفاءة لذلك

وعاد المؤتمر وبحث في المسألة التاسعة وهي ما يجب القيام به لمنع انتشار الرمد فتقرر بالاجماع ان يتعاون الاهالي والحكومة على محاربة الرمد ويستحسن ان تكون الاعمال الخاصة بذلك شاملة بقدر الامكان حتى يسهل على البلاد والحكومات المختلفة القيام بها

وفي الساعة التاسعة من صباح السبت عقد المؤتمر جلسته الختامية في دار الجامعة المصرية فتلا احمد زكي بك مقالة فرنسوية لخص فيها كتاب الصفدي « نكت الهميان في نكت العميان » وقال ان هذا الكتاب يحتوي ترجمات ٣٠٧ من مشاهير العميان وقد جاء فيه ما يثبت ان اول من استنبط الحروف البارزة للعميان رجل شرقي عربي عمي في طفولته فكان يلف الورق ويثنيه على شكل الحروف ويلصقها بالصفحات ويقرأ بها مستعينا بحاسة اللمس واسمه علي بن احمد بن يوسف ابن الخضر المشهور بزين الدين الحنبلي الآمدي. واقترح زكي بك على المؤتمر ان يعطي فخر اختراع الحروف البارزة للعميان للآمدي الذي توفي سنة ٧١٢ للهجرة وقال ان ذلك لا يحط من مقام برايل الفرنسوي الذي استنبط الحروف البارزة الشائعة في ايامنا فعُرض اقتراحه على المؤتمر وقبل

ثم وقف سعادة شفيق باشا ناظر الاوقاف المصرية وخطب خطبة موجزة اعلن فيها اقفال جلسات المؤتمر بالنيابة عن سمو الخديوي وطلب من الاعضاء ان يعينوا الزمان والمكان لمؤتمرهم التالي. وبعد المناقشة قليلاً اقترح المندوب البلجيكي ترك مسألة تعيين المكان والزمان للجنة فقبل اقتراحه

هذا وقد لقي مندوبو الحكومات الاجنبية والمعاهد العلمية كل اكرام من الحكومة المصرية واعضاء اللجنة التحضيرية واعيان القطر فاولمت لهم اللجنة وليمة خاصة في فندق شبرد ودعاهم علي باشا الشمراوي الى وليمة اصطاهم في فندق هليوبوليس واولم لهم حسن باشا زايد وليمة في التياطر المصرية وفي دار سبروه ودعاهم الدكتور علوي باشا الى تناول الطعام في عزبته بطوخ ودعتهم ادارة فنادق شركة لكوفنش الى تناول الشاي في فندق مينا هوس ثم اولمت لهم اللجنة وليمة اخرى في ختام جلسات المؤتمر في فندق الكنتيننتال. وفي اليوم التالي اصطحبهم لمشاهدة آثار سقاره وزاروا في الاهرام التي

قضوها بيننا اكثر المشاهد المصرية التي في القاهرة وضواحيها وانصرفوا وهم يشكرون حكومة الجناب العالي وكرام المصريين لما لقوا في هذه البلاد من الرعاية والاكرام

اوجه القمر في شهر مارس

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	١	٢	٣١	صباحاً
الربع الاول	٨	١	١	«
البدر	١٥	١	٥٨	«
الربع الاخير	٢٣	٣	٥٦	«
الهلال	٣٠	٢	٣٨	مساء
القمر في الحضيض	٦	٦	٣٠	«
« « الاوج	٢١	٣	٦	«

السيارات

عطارد — يكون نجم الصباح في اوائل الشهر ونجم المساء في اواخره

الزهرة — تكون نجم المساء الشهر كلهُ

المريخ — يشرق الساعة ٣ صباحاً

المشتري — يشرق الساعة ١ مساء

زحل — يكون نجم المساء الشهر كلهُ

وقت غرينتش

اقرّت الحكومة الفرنسوية في ١٠ فبراير على استعمال وقت غرينتش اسوة لما يكثير من الممالك

التحوُّل الفجائي

كتب الدكتور اوزولد في مجلة تقدم العلوم (سينس بروغرس) فاقام الادلة الكثيرة على ان الانواع قد تتولد فجأة في النبات وقال ان الحيوانات اللبونة ظهرت فجأة في الدور الثلاثي وذلك بنمو الغدد الثديية فيها . ويظهر لنا ان العلماء الباحثين في هذا الموضوع سيصلون يوماً ما الى تحقيق الرأي الذي ارتأيناهُ منذ نحو ست سنوات وهو ان الانواع متى بلغت درجة معينة من النمو ولدت انواعاً اخرى بالاشتقاق او بالتزاوج كما ان افراد النوع الواحد متى بلغت اشدها ولّدت افراداً اخرى بالاشتقاق او بالتزاوج

برد هذا الشتاء

اشتدَّ البرد هذا الشتاء في كل الممالك العثمانية فجلد البحر الاسود وانخفضت الحرارة درجات كثيرة تحت الصفر في بر الاناضول وحلب وسورية وغطى الثلج بلاد الساحل كلها وجلد الماء في اماكن كثيرة من القطر المصري وهزأ البرد كثيرين في جهات حلب وحمص وحماه وامات كثيراً من المواشي وصدَّت الثلوج السكك فقلت اسعار الحاجيات وهض الجوع الوحوش البرية فهاجمت منازل الناس . ولا يتذكر احد ان البرد بلغ هذه الشدة منذ ثلاثين سنة الى الآن

طاعون الصين

انتشر الطاعون في منشوريا من بلاد الصين وفتك فتكاً ذريعاً فطلبت الصين من ممالك اوربا ان ترسل مندوبين من قبلها ليبحثوا عن سبب انتشاره وعن الطرق التي يجب الجري عليها لايقاف هذا الانتشار

هبات علمية

قلما يصدر عدد من المقتطف الأ ونذكر فيه شيئاً عن الاموال الطائلة التي يجود بها اغنياء اميركا واوربا على المدارس العلمية والمعاهد الخيرية ونحن نفعل ذلك استنهاضاً لهمم الشرقيين من ذوي اليسار كي يجاروا الغربيين في مثل هذه الاعمال

ومن الهبات العلمية الجديدة التي اتصل بنا خبرها في الشهر الماضي هبة الاستاذ هنس ماير فانهُ وهب جامعة ليبزك ٧٥٠٠ جنيه لانشاء معهد فيها لعمل التجارب الخاصة بالفلسفة العقلية . وكنا نشرنا في احد اعداد المقتطف الماضية ان المستر كندي المتري الاميركي الشهير اوصى بثلثمئة الف جنيه لكلية روبرت في الاستانة وبالغ أخرى غيرها لكليات اميركية وقد اتصل بنا الآن ان ما اوصى بهِ لكلية روبرت هو ٣٦٠٠٠ جنيه لا ثلثمئة الف فقط وجملة ما اوصى بهِ لمعاهد العلم ١٧٢٢٠٠٠

ووهب المستر كارنجي المعهد المسمى باسمهِ في نيويورك هبة أخرى قدرها مليونا جنيه فجملة ما وهبهُ لهذا المعهد خمسة ملايين من الجنيهات ومجموع هباتهِ العلمية والخيرية اربعون مليون جنيه

حيوان جديد

جاء في مجلة الطبيعة الفرنسوية انهُ عثر في بلاد الكنغو على حيوان جديد يسميهِ اهالي تلك البلاد فيل الماء وان المسيو له بتي رأى خمسة من هذه الافيال على ضفة بحيرة ليوبولد الثاني فنزلت في الماء حالما رأتهُ لكنهُ تمكن من تقدير حجمها قبل ان نزلت في الماء وهي اصغر من الافيال المعروفة لا يزيد علو الواحد منها على ست اقدام وهو اصغر خرطوماً واطول عنقاً من الفيل المعتاد ولا اتياب طويلة له على ما يظهر ويشبه في وصفهِ الفيل الذي اكتشفت بقاياهُ في الفيوم

جورج غراي

توفي المستر جورج غراي شقيق السر اوورد غراي ناظر خارجية انكلترا وقد كان من مهندسي التعدين ولهُ مباحث كثيرة في المعادن الافريقية . وسبب وفاتهِ انهُ كان يصطاد الاسود مع السر الفرد بيز من مستوطني يوغندا فهجم عليهِ اسد وجرحهُ ثم توفي بعد ايام قليلة في مستشفى نيروبي

امير موناكو والعلم

موناكو امارة مستقلة على ساحل البحر المتوسط تحيط بها الاملاك الفرنسوية من كل جانب الاَّ من جهة البحر وهي صغيرة جدًّا مساحتها ثمانية اميال مربعة اي اقل من خمسة آلاف فدان وعدد سكانها نحو خمسة عشر الفًا وفيها ثلاث مدن موناكو والكوندامين ومنتي كارلو المشهورة بمحل المقامرة الذي فيها. وصاحب هذه الامارة اسمهُ البرنس البرت وهو مشهور بميلهِ الى سلك البحار والتنقيب عمَّا فيها من الغرائب. وقد انشأ في هذه الايام معهدًا في باريس للاوقيانوغرافيا اي علم البحار والحق بهِ متحفهُ الذي في موناكو واعلن رغبتهُ في انشاء معهد آخر في باريس لعلم الاساطير البشرية فارسل كتابًا الى ناظر المعارف الفرنسوية قال فيهِ انهُ قد تبرع بمليون وستمئة الف فرنك لهذا الغرض

الاكاذيمية الفرنسوية

توفي عضوان من اعضاء الاكاذيمية الفرنسوية وهما المسيو باربو والمسيو فندال فانتخب الاعضاء الباقون عضوين اخرين مكانهما وهما المسيو هنري روجون من الكتاب المشهورين والمسيو دنيس كوشن من سيعوني مدينة باريس في مجلس النواب

ذهب الترنسفال

بلغ المستخرج من الذهب من الترنسفال في العام الماضي ٣٣٠٠٢٩٠٠٢ جنيهًا وكان في العام الذي قبلهُ ٣٠٩٢٥٧٨٨ وفي الذي قبلهُ ٢٩٩٥٧٦١٠ فالزيادة السنوية اكثر من ٣ في المئة اي اكثر من مضاعف زيادة عدد السكان في الدنيا

ثمن الاغاني

قيل ان الذين طبعوا الاغنيَّة الانكليزية التي ترجمة مطلعها « اصغ الى العصفور الهازىء » ربحوا من طبعها ونشرها نصف مليون جنيه مع ان حق طبعها اول مرة باعهُ ناظمها بسبعة جنيهات لا غير. وباع مشروقي التي اغنيته التي موضوعها « الى الابد » بالفين ومئتين واربعين جنيهًا بعد ان رفض كثيرون من اصحاب المطابع نشرها. وبيعت الاغنيَّة التي مطلعها « بارك الجان » بالف وثمانمئة جنيه ويقال ان ورثة وغتر يربحون سنويًّا من رواياتهِ الشعرية ٢٨ الف جنيه هكذا هكذا والاَّ فلا لا

يعيدكم مرة أخرى

الف المستر كندي كتابًا عن الفيلسوف نتشه الالماني قال فيهِ ان نتشه ذهب الى ما ذهب اليهِ غستاف له بون وهين وفلاسفة

اليونان من قبلهم وهو ان القوى الطبيعية تتوالى وتعود الى ما كانت عليهِ فالعالم الذي يتم عملهُ تحلل عناصرهُ ثم تعود تتركب وتتولد فيهِ مخلوقات مثل المخلوقات التي كانت فيهِ قبلاً ولذلك لا يبعد ان يكون الانسان قد وُجد على هذه البسطة قبل الآن وانقرض منها وان النوع الموجود الآن سوف ينقرض ثم يعود مرةً اخرى وعناصر الشخص الواحد تعود فتجتمع بعد قرون كثيرة كما اجتمعت قبلاً ويتكرر ذلك الى ما شاء الله

اصل الانسان

يظهر ان اول من قال باصل الانسان من انفرد او من حيوان آخر شبيه بهِ رجل انكليزي اسمهُ جامس بَرْنت لورد مُنْبُدّو فانهُ ألّف كتاباً سنة ١٧٧٣ في « اصل اللغات وارتقائها » ذكر فيهِ ان الانسان في اوّل نشأتهِ كان شبيهاً بالقرود فلم يكد كتابهُ ينتشر حتى اخذ العلماء والكتّاب يسخرون بهِ وبآرائهِ ويتهكمون عليهِ

الطعم الترابي في الاسماك

لا يخفى ان اسماك الانهر والبحيرات يكون فيها احياناً طعم ترابي وكان للظنون ان ذلك ناتج من التراب الذي تأكلهُ ولكن ثبت الآن ان سبب هذا الطعم ما تأكلهُ من النباتات المائية فانهُ يخرج من تلك النباتات زيت يبقى في بدن السمك ومنهُ ذلك الطعم الترابي

الزيادة في النفقات البحرية

كانت نفقة البحرية الالمانية منذ عشرين سنة ٤٥٠٠٠٠٠٠ جنيه وهي الآن ٢٢٥٠٠٠٠٠ جنيه اي زادت ٤٠٠ في المئة يضاف الى ذلك عشرة ملايين من الجنيهات تنفق سنوياً على الرديف والمتقاعدين وخفارة السواحل ويدفع منها اعانات للسفن التجارية واحد عشر مليوناً لتوسيع قناة كيال ونفقتها نظارة الداخلية

وقد زادت نفقات الولايات المتحدة في المدة نفسها من ٥٤٠٠٠٠٠٠ جنيه الى ٢٨٠٠٠٠٠٠٠ جنيه اي ٤١٨ في المئة ونفقات فرنسا من ٨٠٠٠٠٠٠٠ جنيه الى ١٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه اي اقل من مئة في المئة

اما انكلترا فقد زادت النفقات البحرية فيها ١٥٣ في المئة وهي تنفق على بحريتها الآن ٤٥٠٠٠٠٠٠ جنيه

تقدم الصين

نشر بعضهم حديثاً في مجلة انكليزية قال فيهِ ان الصين تقدمت تقدماً عظيماً في السنوات العشر الاخيرة وتغيرت كثيراً عمّا كانت عليهِ قبلاً فان المسافر الآن يصل الى

يكين عاصمة الصين في سكة حديدية منتظمة ويتنزل في فندق من احسن الفنادق ويركب السيارات في شوارع العاصمة التي في قلب المدينة وقد كان السير فيها صعباً جداً قبل ثورة اليوكسر فقد روى السر روبرت هارت سفير بريطانيا في الصين ان صينياً ارتطم في الطين في وسط المدينة وغرق . وذكر الكاتب ان الجرائد والمجلات زادت كثيراً وزاد عدد المتعلمين من الرجال والنساء في مدارس الاجانب وان بعض النساء تعلن في مدارس اليابان او اميركا . وقال ان البوليس والجيش تقدما كثيراً في النظام والتعليم

الذباب وميكروبات الامراض

بحث الدكتور غرام سميث في نقل الذباب لميكروبات الامراض فظهر له بالتجارب ان الميكروبات المرضية التي لا يزور لها لا تبقى حية على اجنحة الذبان وارجلها اكثر من ساعات قليلة من خمس ساعات الى ١٨ ساعة ولكنها تبقى حية في حوصلتها وامعائها عدة ايام وان هذه الميكروبات توجد غالباً في مبرزاتها وفي ما يخرج من فمها . وان يزور الميكروبات التي لها يزور كيكروب البثرة الخبيثة تبقى حية على ارجل الذبان واجنحتها وفي حوصلاتها وامعائها ومبرزاتها اياماً كثيرة

الجنون والوراثة

نشر الدكتور موت مقالة في مجلة اصلاح النسل الانكليزية في هذا الموضوع ختمها بالامور التالية

(١) الميل الوراثي اشد الاسباب فعلاً في الجنون والبلاهة والصرع . والموروث في ذلك هو الميل الى الامراض العصبية والعقلية

(٢) ان نوع التعليم والاعمال التي يكون وسيلة للجنون او لمنعه

(٣) المسكرات لا تسبب الجنون لذاتها الا في الحالة المعروفة بالجنون الكحولي وهي غير كثيرة

(٤) بعض انواع الجنون يورث اكثر من البعض الآخر مثل الجنون الدوري والجنون الخداعي والصرع . والغالب ان يظهر في الولد نوع من الجنون غير جنون مورثه

(٥) الامهات يورثن الجنون اكثر من الآباء ولا سيما لبناتهن

(٦) الغالب ان يظهر الجنون في الاولاد قبل بلوغهم العمر الذي ظهر فيه في والديهم . واكثر من نصف الذين ورثوا الجنون وراثة ظهر الجنون فيهم في سن البلوغ وهو اما ان يكون دائماً او وقتياً وقلما

يصيب الجنون والداً قبل السن الذي ظهر فيه في ولده

(٧) يمكن اصلاح الحال اولاً بالتزوج من عيال لاميل فيها للجنون وثانياً بتوالي ظهور الجنون ابكر فابكر فيصير يظهر قبل سن الزواج وينقطع نسل المجانين

(٨) ان نظام الاجتماع الحالي الذي يحمي من لا يصلح للبقاء من المجانين واليله ومدمني المسكرات وامثالهم يمنع انقراض المجانين وانتفاء الميل للجنون

المانيا وتجارة الحديد

تصنع المانيا كل سنة ١٤ مليون طن من الحديد الزهر وانكلترا ١٠ ملايين وتصنع المانيا ١٢ مليوناً من الصلب وانكلترا ٧ ملايين. وفي معامل الحديد الالمانية مليونا عامل وفي معامل انكلترا مليون ونصف . وقد زادت صادرات المانيا في السنوات العشر الاخيرة اربعة اضعاف

استئصال الجرذان

لما ظهر الطاعون في منشوريا خاف الناس في بلاد الانكليز ولا سيما اذ شاع ان واحداً اصيب به عندهم فبادروا الى قتل الجرذان فقتلوا نحو ٢٥٠ الف جرذ ويقال انهم استفادوا بذلك فائدة مالية كبيرة لانه يقدر ان الجرذ الواحد يأكل ويتلف في سنته ما يساوي ٣٦ غرشاً وان في انكلترا وويلس نحو ٣٨ مليون جرذ فتأكل وتتلف في السنة ما يساوي اكثر من ١٣ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات

الخمور في الجيش الفرنسوي

يقال ان فرنسا تنفق على جيشها ثمن الخبز واللحم والخضر والادوية وما اشبه ١٣٦٠٠٠٠٠ جنيه في السنة وتنفق عليه ثمن خمور ٣٦٧٠٠٠٠٠

السكربولوجيا

يدعي طبيب سويسري اسمهُ غار انهُ يعرف اخلاق الانسان من حذائهِ وقد سمّى هذا الفن بالسكربولوجيا اي علم الاحذية ويقول انهُ اذا رأى حذاء لبسهُ انسان شهرين عرف منهُ اخلاق ذلك الانسان فاذا رأى كعبهُ مبريًّا على السواء وكان لابسهُ رجلاً قال انهُ جلود على العمل واذا كانت لابستهُ امرأةً قال انها تهتمُّ ببيتها وتعتني باولادها . واذا كان كعب الحذاء مبريًّا من الخارج قال ان لابسهُ مقدام او مبتكر صاحب مشروعات واذا كان يربهُ كثيراً قال انهُ يكل الامور الى الصدف . واذا كان كعب الحذاء مبريًّا من الداخل قال ان لابسهُ ضعيف للغريمة متقلب الاراء ولابستهُ انيسة وديعة

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثامن والثلاثين

٢٠٩ السر فرنسيس غلتن
٢١٧ الملاك الاول · للسيدة جوليا طعمه
٢٢١ التربية لمحمد افندي جميل بيهم
٢٢٤ القصر البالي · لفؤاد افندي الخطيب
٢٢٦ اصل الانسان · لالياس افندي الفضيان
٢٣٠ نمو السكان ومستقبل الانسان
٢٣٣ ايضاح لغوي · للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني
٢٣٥ واضع علم النحو
٢٤٠ اللغة العربية والطب · للدكتور محمد عبد الحميد
٢٤١ معجم الحيوان · للدكتور امين المعلوف · (مصورة)
٢٤٧ عالم الاحياء
٢٥٣ الحرب والقتال
٢٥٨ من المهد الى اللحد · للدكتور نقولا فياض
٢٦٨ رحلة بارتيا الى الحجاز واليمن والهند
٢٧٤ التربية · للسيدة لبيه هاشم

---

٢٨٣ باب المراسلة والمناظرة * الجذب والدفع والمد
٢٨٦ باب تدبير المنزل * البذور · خطب السيدات في الجامعة · اكاديمية للنساء الفرنسويات · ازالة المسامير · اللكنة · اطالة الحياة
٢٩١ باب الرياضيات * غرائب الاعداد
٢٩٣ باب الزراعة * تاريخ القطن في مصر · ري العراق · الفيضان ومحصول القطن
٢٩٦ باب التقريظ والانتقاد * الحكيم · الصحافة القبصرية · كتاب المعز · مكتبة الجامعة المصرية · الدهن والصابون · الرابطة · مدرسة مصطفى كامل · الروايات الجديدة · المدرسة التجارية القبلية بالقاهرة
٣٠٢ باب المسائل * وفيه ١٥ مسألة
٣٠٣ باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٥ خبراً

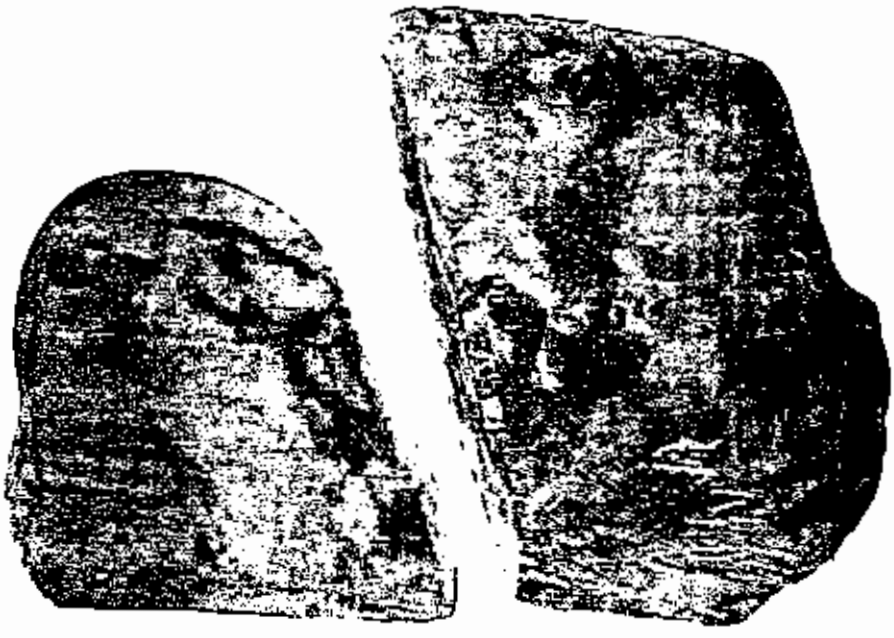

الشكل الاول

الشكل الثاني

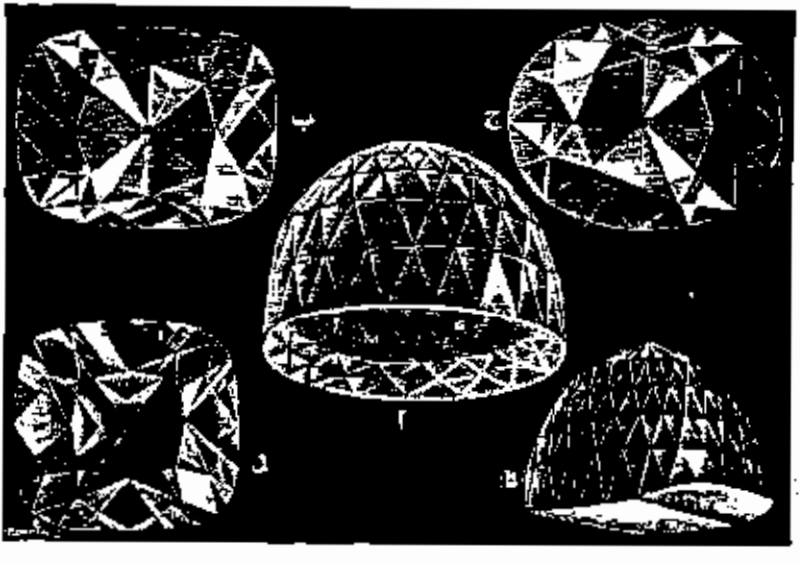

الشكل الثالث

توضع هذه الصورة بين الصفحة ١١٦ والصفحة ١١٧ من عدد فبراير الماضي